أخبار ابن سُرَيج

نسبه — هو عُبَيد بن سُريج . ويُكْنى أبا يحيى ، مَوْلى بنى نَوْفل بن عبد مناف . وقيل : مولى بنى الحارث بن عبد المُطَّلب . وقيل : مولَى بنى لَيْث . وقيل : مولى بنى عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم .

شيء من وصفه — مسكنه مكّة . وكان آدم أحمرَ ظاهرَ الدَّم سُناطاً [1] ، فى عَيْنيه قَبَلٌ [2] . و بلغ خَمْساً وثمانين سنة . وكان أكثر ما يُرَى مُقَنَّعاً . وكان مُنقطعاً إلى عبد الله ابن جَعفر .

وقيل : كان مخنَّثاً أحولَ أعمشَ ، يلقَّب : « وجه الباب » . وكان لا يُغنِّى إلاّ مُقنَّعا ، يُسْبِل القِناع على وجهه . وكان أحسنَ النّاس غِناء . يُغَنِّى مُرتجلاً و يوقِّع بقَضيبٍ . وغَنّى فى زمن عثمان بن عفّان رضى الله عنه .

موته — ومات فى خلافة هِشام بن عبد الملك .

وقيل : بل مات بعد قَتْل الوليد بن يزيد .

وقد قِيل : إنّ أباه كان تُركيًّا .

وقيل : إنه كان يضرب بالعُود . ومات بالجُذام .

أول من ضرب بالعود — وقيل : إنه أوّل مَن ضرب بالعُود على الغناء العربىّ بمكة ، وذلك أنه رآه مع العَجم الذين أَقدمهم ابنُ الزُّبير لبناء الكعبة .

أمه — وأُمّه مولاة لآل المطّلب ، يقال لها : رائقة .

---

(١) السناط : الذى لا لحية له ، أو هو الخفيف العارضين .

(٢) القبل فى العينين : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى .

وقيل : بل هى هِنْد أُخت رائقة ، فمن ثَمّ قيل : إنه مولى بنى المُطّلب ابن حَنْطب .

انقطاعه إلى الحكم

وكان أُبن سُريج بعد وفاة عبد الله بن جَعْفر قد أُنقطع إلى الحَكَم بن المُطّلب ابن عبد الله بن المُطّلب بن حَنْطب ، أحد بنى مَخْزوم . وكان من سادة قُريش ووجوهها .

من النفر الذين هم أصل الغناء

وقيل : أصلُ الغناء أربعة نَفَر : مكّيان ومَدنيّان . والمكيّان : أبن سُريج وأبن مُحرز . والمدنيّان : معْبد ومالك .

شهادة ابراهيم الموصلى له

وقال الفَضْل بن يحيى بن خالد بن بَرْمك : سألت إبراهيم المَوْصِلىّ ليلةً ، وقد أَخذ منه النَّبيذُ : من أحسنُ الناس غِناءً ؟ فقال لى: أمِن الرجال أم من النّساء ؟ قلتُ : من الرجال . قال : أبن مُحرز . قلت : فمن النِّساء ؟ قال : ابنُ سُريج . ثم قال : ابن سُريج كان كأنّه خُلِق من كل قَلْب ، فهو يُغنّى له ما يَشتهى .

اشتغاله بالنياحة ثم عدوله عنها

وذُكر أنّ سُكَينة بنت الحُسين بن علىّ ، عليهما السلام ، بعَثتْ إلى أبن سُريج بمَملوك لها يقال له : عبد الملك ، وأَمرتْه أن يُعلِّمه النِّياحة . فلم يَزل يُعلِّمه مدةً طويلة . ثم تُوفِّى عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفيّة ، عليه السلام — وكان أبن سُريج عليلاً عِلّة صَعْبة ، فلم يَقْدِر على النِّياحة — فقال لها عَبدُها عبدُ الملك : أنا أنُوح لك نَوحاً أُنسيك به نَوح أبن سُرَيج . قالت : أَو تُحسن ذاك ؟ قال : نعم . فأمرتْهُ ، فنَاح . فكان نَوحُه فى الغاية من الجوَدة . وقال النِّساء : هذا نَوحٌ غَرِيض . فلُقِّب عبدُ الملك: الغريضَ . وأفاق أبنُ سُريج من عِلّته بعد أيام . وعَرف خبر وفاة محمد ابن الحنفيّة ، فقال لهم : فَمن ناح عليه ؟ قالوا : عبدُ الملك ، غُلام سُكَينة . قال : فهل جَوَّز النـاسُ نَوحَه ؟ قالوا : نعم ، وقدّمه بعضُهم عليك . فحَلَف ابنُ سُريج ألاّ ينُوحَ بعـد ذلك اليوم ، وترك النَّوحَ ، وعَـدَل إلى الغناء . فلم يَنُح حتى ماتت

حَبابة ، وكانت قد أخذت الغناء عنه وأحسنت إليه ، فناح عليها . ثم ناح بعدها على يزيدَ بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هَلك .

ولما عدَل ابنُ سُرَيج عن النَّوْح إلى الغناء ، عَدل معه الغَريضُ إليه ، فكان لا يُغنِّى صوتاً إلّا عارضه فيه .

هو وعطاء بن أبى رباح

وذُكر أنّ عَطاء بن أبى رَباح لَقِى ابن سُريج ، بذى طُوًى[1] ، وعليه ثياب مُصبَّغة ، وفى يده جَرادةٌ مشدودةُ الرِّجل بخَيْط ، يُطيِّرها ويَجْذبها كلما تخلَّفت . فقال له عطاء : يا فتّان ، ألا تكُفُّ عما أنت عليه ! كفى اللهُ الناسَ مَئُونتك . فقال ابن سُريج : وما على الناس من أن تكون ثيابى مُلوَّنةً ولَعِبى بجرادتى ؟ قال له : تَفْتنهم أغانيك الخبيثةُ . فقال له ابن سُريج : سألتُك بحقِّ من تبعتَه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وبحقِّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم عليك ، ألّا سمعتَ منِّى بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنْكَراً أمَرْتنى بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أُقسم بالله وبحقِّ هذه البَنيّة لئن أمرتنى بعد استماعك منِّى بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنَّ ذلك . فأطمعَ ذلك عَطاءً فى ابن سُريج ، وقال : قُل . فاندفع يُغنِّى من شعر جَرير :

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادَرُوا ... وَشَلاً بعَيْنِك لا يزَالُ مَعِينا[2]

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لى ... ماذا لَقيتَ من الهَوى ولَقِينا[3]

فلما سمعه اضطرب اضطراباً شديداً ودخلته أَرْيَحيَّةٌ ، فحلف ألّا يُكلِّم أحداً بقيَّةَ يومه إلّا بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام . فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حَلال أو حَرام أو خَبر من الأخبار ، لا يجيبه إلّا بأن يَضرب إحدى يديه على الأُخرى ويُنشده هذا الشعر . ولم يُعاودْ ابْنَ سُريج بعدها ولا تعرّض له .

(١) ذو طوى : موضع عند مكة .

(٢) الوشل : الماء القليل والكثير ، وكذلك الدمع . والمراد هنا : الدمع الكثير . والمعين : الجارى السائل على وجه الأرض .

(٣) غيضن من عبراتهن : أرسلن دموعهن حتى نزفنها .

هو وابن أبي ربيعة ويزيد بن عبد الملك في الحج

وذُكر أنّه لمّا قال عُمر بن أبي ربيعة :

نَظرتُ إليهـا بالمُحصَّب من مِنًى ولى نَظَرٌ لولا التحرُّجُ عارِمُ[1]

غنّى فيه ابنُ سُرَيج . وحَجَّ يزيدُ بن عبد الملك فى تلك السَّنة بالناس . وخَرج عُمر بن أبي ربيعةَ ومعه ابن سُريج على نَجيبين، رِحالَتاهما[2] مُلْتَبستان بالدِّيباج ، وقد خَضبا النَّجيبَيْن ولَبِسا حُلّتين . فجعلا يتلقّيان الحاجّ ويَتعرّضان للنِّساء ، إلى أن أظلم الليلُ ، فعدلا إلى كَثِيب مُشْرِفٍ والقمرُ طالعٌ يُضيء ، فجلسا على الكَثيب . وقال عمرُ بن أبي ربيعة لابن سُريج : غَنِّنى صوتَك الجَديد . فاندفع يُغنّيه ، فلم يَسْتتمّه إلّا وقد طلع عليهما رجلٌ راكبٌ على فَرس عَتيق . فسلّم ثم قال : أيمكنك أعزّك الله أن تَرُدَّ هذا الصوتَ ؟ قال : نعم، ونَعْمة[3] عَيْن، على أن تنزلَ وتَجلس معنا . قال : أنا أَعْجَل من ذلك ، فإن أجملتَ وأنعمتَ أعدْتَه ، وليس عليك من وقُوفى شيء ولا مَؤُونة . فأعاده . فقال له : بالله أنتَ ابن سُريج ؟ قال : نعم . قال : حيَّاك الله . وهذا عُمر بن أبي ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حيَّاك الله يا أبا الخَطَّاب . فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفتنا فعرِّفنا نفسك . قال : لا يُمكننى ذلك . فغضب ابنُ سُريج وقال : والله، لو كنتَ يَزيد بن عبد الملك لما زاد ! فقال له : أنا يزيدُ بن عبد الملك . فوثب إليه عُمر بن أبي ربيعة فأعظمه . ونزل ابنُ سُريج إليه فقبّل ركابَه . فنَزع حُلّته وخاتَمهُ ، فدفعهما إليه . ومضى يَرْكُض حتى لَحِق ثَقَله . فجاء بهما ابن سُريج إلى عُمر فأعطاه إيّاهما وقال له : إنّ هذين بك أشبه منهما بى . فأعطاه عُمرُ ثلثمائة

(١) عارم ، أى خبيث شرير ، ينظر إلى غير حل .

(٢) الرحالة : سرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد ، يكون للخيل والنجائب من الإبل .

(٣) نعمة عين ، مثلثة النون ، أى أفعل ذلك كرامة لك وإنعاماً لعينك .

دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناسُ ، وجعلوا يتعجّبون ويقُولون : كأنّهما والله حُلّة يَزيدَ بن عبـد الملك وخاتمه ! ثم يسألون عُمرَ عنهما، فيُخبرهم أنّ يزيد ابن عبد الملك كَساه ذلك .

غناؤه والغريض عند ابن أبي رباح

وذَكر عبـدُ الرحمن بن إبراهيم المخزومى قال :

أرسلتْنى أُمِّى ، وأنا غُلام ، أسأل عطاء بن أبى رَباح عن مسألة ، فوجدتُه فى دارٍ يُقال لها دار المُعلَّى ، وعليه مِلْحفة مُعَصْفَرة ، وهو جالس على مِنْبر ، وقد خُتِن ابنُه والطَّعـامُ يوضَع بين يديه ، وهو يأمُر به أن يُفرَّق فى الخَلْق . فلهوتُ مع الصِّبْيان ألعب بالجَوْز ، حتى أكل القومُ وتفرّقوا . وبَقى مع عَطاء خاصّتُه، فقالوا: يا أبا محمد ، لو أَذِنتَ لنا فأرسلنا إلى الغَريض وابن سُريج ؟ قال : ما شِئْتم . فأرسلوا إليهما . فلمـا أتَيا قامُوا معهما ، وثبَت عَطاءٌ فى مجلسه فلم يدخُل ، فدخلوا بهما بَيتاً فى الدار، فتغنّيا وأنا أسمع . فبدأ ابنُ سُريج فنقَر بالدُّف وتَغنّى بشعر كُثيِّر :

لِلَيْـلَى وجاراتٍ للَيْـلَى كأنَّهـا ... نِعاجُ المَلاَ تُحْدَى بهنّ الأباعرُ

أمُنْقَطِعٌ يا عَزّ ما كان بيننـا ... وشاجَرنى يا عزُّ فيكِ [1] الشَّواجِر

إذا قِيـل هـذا بَيتُ عَزَّةَ قادَنى ... إليه الهَوَى واستَعْجلتْنى البَوادِر

أصُدّ وبى مِثلُ الجُنون لِكَى يَرى ... رُواة الخَنَا أنِّى لبَيْتكِ هـاجِر

فـكأنّ القومَ نزل عليهم السُّباتُ فما تَسمع حِسًّا ، وأَصْغوا إليـه بآذانهم ، وشَخصتْ إليه أحداقُهم . ثم غَنَّى الغَريضُ أيضاً بصوتٍ أُنْسِيتُه بلَحْن آخر . ثُم غَنَّى ابنُ سُريج ووَقّع بالقَضِيب . وأخذ الغَريضُ الدُّفَّ فغنّى بشعر الأخطل :

فقلتُ اُصْبحونا [2] لا أبا لأبيـكمُ ... وما وضَعوا الأثقالَ إلاّ ليَفعلُوا

(١) الشواجر : جمع شاجرة ، وهى الصارفة من الشواغل والأمور .

(٢) اصبحونا : إيتونا بالصبوح ، وهو ما يشرب فى الغداة إلى القائلة .

فقُلت أقتلُوها عنكُمُ بمزاجِها وأكرِم بها مَقْتُولةً حين تُقتَلُ
أناخُوا فجرُّوا شاصِياتٍ[1] كأنها رجالٌ من السُّودان لم يتَسَربلوا

فوالله ما رأيتُهم تحرَّكوا ولا نَطقُوا ، يَستمِعون لما يقول . ثم غَنَّى الغَريضُ بشعر آخر ، وهو :

هل تَعرف الدَّارَ والأطلالَ والدِّمَنَا زِدْنَ الفُؤادَ على ما عِنْده حَزَنَا
دارٌ لصفراءَ[2] إذ كانت تَحُلُّ بها وإذ تَرى الوَصْل فيما بيننا حَسَنَا
إذ تَستَبيك بمَصْقُولٍ[3] عوارضُه ومُقْلَتَيْ شادِنٍ لم يَعْدُ أنْ شَدَنا

ثم غَنَّيا جميعاً بلَحْن واحد ، فلقد خُيِّل لى أنَّ الأرض تَميد ، وتَبيَّنْت فى عَطاء ذلك أيضاً . وغنَّى الغَريضُ فى شعر عُمر بن أبى ربيعة ، وهو قولُه :

كَفى حَزَناً أن تجمع الدَّارُ شَمْلَنا وأُمْسِى قَريباً لا أَزورُكِ كَلْمَا
دَعِى القَلْبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الّذى بِه مِنْكِ أو داوِى هَواه المُكتَّمَا
ومَنْ كان لا يَعْدُو هَواه لِسَانَه فقد حَلّ فى قَلْبى هواكِ وخَيَّما
وليس بتَزْويق اللِّسانِ وصَوْغِه ولكنَّه قد خالَط اللّحمَ والدَّما

وغنّى ابنُ سُريج أيضاً :

خَليلىّ عُوجا نَسْأَلِ اليومَ مَنْزِلاً أَبَى بالبِرَاق[4] العُفْرِ أنْ يَتَحوّلاَ
ففُرْعِ النَّبيت فالشَّرَى[5] خَفَّ أَهلُه وبُدِّل أَرواحاً جَنوباً وشَمْألا

(١) الشاصيات : الزقاق المملوءة ، قد ارتفعت قوائمها . وهى إذا ملئت أو نفخت كانت تلك حالها .
(٢) فى ديوان ابن أبى ربيعة : « لأسماء » .
(٣) العوارض : الثنايا .
(٤) البراق : جمع برقة ، وهى الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل . والعفر : جمع عفراء ، وهى البيضاء بياضاً غير ناصع .
(٥) الفرع : موضع على طريق مكة إلى المدينة . والنبيت : قبيلة . لعلها نزلت هذا الموضع فأضيف إليها . والشرى : أكثر من موضع . ولعل المراد به هنا : واد من عرفة ، أو موضع عند مكة .

أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأتْ إلينا ولم تَأْمن رسولاً فترسِلا
بأنْ بِتْ عَسى أنْ يستُرَ اللَّيلُ مَجْلساً لنا أو تنامَ العينُ عنّا فَتَغْفُلا

وغَنَّى الغَرِيضُ :

يا صاحبيّ قِفَا نُقِضّ لُبانةً وعلى الظَّعائن[1] قَبْلَ بَيْنِكما أُعْرِضا
لا تُعْجِلانى أنْ أقُولَ بحاجةٍ رِفْقاً فقَدْ زُوِّدْتُ زَاداً[2] مُجْرِضا
وَمقالَها بالنَّعْف نَعْفِ[3] مُحَسِّرٍ لِفَتاتِها هَل تَعْرِفين المُعْرِضا
هذا الذى أعْطى مواثِقَ عَهْدِهِ أَلاّ يَخُونَ وخِلْتُ أَلاّ يَنْقُضا

وأغَانىَّ أُنْسِيتُها ، وعَطاء يَسْمع على مِنْبَرِه ومَكانَه ، وربما رأيْتُ رأْسَه قد مال وشَفَتَيْه تتحرّكان ، حتى بلَغَتْه الشَّمْسُ ، فقَام يُرِيد مَنزِله . فما سَمِع السّامِعُون شَيْئاً أحْسَن مِنهما ، وقد رَفَعا أصْوَاتَهما وتَغَنّيا بهذا . ولما بَلَغت الشمسُ عَطاءً قام ، وَهُمْ على طريقَة وَاحِدَةٍ فى الغِناء ، فاطّلعَ[4] فى كُوَّةِ الباب . فلمّا رأَوه قالُوا : أبَا محمد ، أيُّهما أحْسَن غِناء ؟ قال : الرَّقِيق الصَّوْت . يعنى ابْنَ سُرَيج .

رحلة جرير إليه يسمع صوتاً

ذَكَر إسحاقُ بن يحيى بن طَلْحَة : أنّه قَدِم جَرِيرُ بن الخَطَفى المدينةَ ، ونحن يومئذ شَبابٌ نَطْلُبُ الشِّعْر ، واُحْتشدنا له ومَعَنا أَشْعَبُ . فبَيْنَا نَحْنُ عِنده إذ قامَ لحَاجَةٍ ، وَأَقَمْنا لا نَبرَح ، وجاء الأحْوَص بن مُحَمّد الشَّاعِر مِنْ قُباء[5] على حِمَار ، فقال : أين هذا ؟ قُلنا : قَام لحَاجَةٍ ، فما حاجَتُكَ إليه ؟ قال : أُرِيدُ واللهِ

(١) الظعائن : جمع ظعينة ، وهى المرأة فى الهودج . يريد : اعرضا حاجتكما على الظعائن قبل فراقكما . (٢) مجرض ، من أجرضه ، إذا أغصه .
(٣) محسر : موضع بين مكة وعرفة .
(٤) فى الأصل : « عطاء والبيت الذى هم فيه على طريقة فاطلع » وما أثبتنا عن بعض أصول الأغانى .
(٥) قباء : قرية على ميلين من المدينة .

أُعْلِمُه أنّ الفَرَزْدَقَ أَشعرُ منه وأَشرفُ. قُلنا: وَيْحَكَ! لا تَعْرِض له وانْصَرِفْ. فانصرفَ وخرج، وجاء جَرِير فلم يَكُن بِأَسْرَعَ من أن أَقبلَ الأحْوَصُ، فوقفَ عليه فقال: السَّلامُ عليكَ يا جَرِيرُ. فقال جَرير: وعليك السَّلام. فقال الأحْوصُ: يابنَ الخَطَفى، الفَرَزْدقُ أَشرفُ منك وأَشعرُ. فقال جَرير: مَنْ هذا؟ أَخْزَاهُ الله! قُلنا. الأحْوَص بنُ محمد بن عَاصِم بنِ ثَابِت بن أبى الأقْلَح. فقال: نعم، هذا الخبيث ابن الطِّيب. أأَنْتَ القائلُ:

يقَرُّ بِعيْنِي ما يَمُرُّ بِعَيْنِهـا وأَحْسَنُ شَيْءٍ ما بِهِ العَيْنُ قَرَّتِ

قال: نعم. قال: فإنَّها يَقَرُّ بِعَيْنِها أَنْ يَدْخُلَ فيها مِثْلُ ذراع البَكْر، أَفيَقَرُّ ذلك بِعَيْنِك؟ قال: وكان الأَحْوَصُ يُرْمَى بالحَلَاق.(١) فانْصَرَفَ، وبَعثَ إليهم بِتَمْرٍ وفاكِهةٍ، وأَقْبلْنا على جَرِير نُسَائِله، وأَشْعَبُ عند الباب، وجرير فى مُؤَخَّرِ البيت، فألَحَّ عليه أَشْعَب يُسائله، فقال: واللهِ إنى لأَرَاكَ أَقْبَحَهُم وَجْهاً، وأَراكَ أَلْأَمَهُم حسباً، قد أَبْرَمْتَنى منذُ اليوْم. قال: إنى واللهِ أنفعُهم لك وخَيْرُهم. فانتبَه جرير وقال: وَيْحَكَ! كيْفَ ذاك؟ قال: إنى أُمَلِّحُ شِعْرَك وأُجيدُ مَقاطِعَه ومَبَادِئَه. فقال: قُلْ، ويْحَك! فاندفعَ أَشْعَبُ ونادَى بِلَحْنِ ابن سُرَيج، والشِّعْر لجرير:

يا أُخْتَ نَاجِيَـةَ السَّلامُ عليكمُ قَبلَ الرَّحِيلِ وقبلَ لَوْمِ العُـذَّلِ
لو كُنْتُ أَعْلمُ أنَّ آخرَ عَهْـدِكم يوم الرَّحِيل فعَلْتُ ما لم أَفْعَـلِ

فَطَرِب جريرٌ وجعلَ يَزْحَفُ نحْوَه، حتى مَسَّت رُكْبتُه ركبتَه، وقال: لَعَمْرى لقد صدقتَ! إنك لأَنْفعَهم لى، ولقد حَسَّنته وأجدْته وزَيَّنْتَه. أَحْسَنْتَ والله! ثم وصَلَهُ وكَسَاه. فلمَّا رَأَيْنَا إعجابَ جَرِير بذلك الصَّوت، قال له بعضُ

(١) الحلاق: صفة غير صفة الرجولة.

الحاضرين : لو سمعتَ واضِعَ هـذا اللّحْن ؟ فقال : و إنّ له واضِعاً غيرَ هـذا ؟ قُلْنَا : نعم . قال : فأيْنَ هو ؟ قُلْنا : بِمَـكّةَ . فقال : لَسْتُ بِمُفارِقٍ حِجَازَكم حتى أَبلُغَه . فمضى ومضى مَعه جماعةٌ ممّن يَرْغَبُ فى طَلَب الشِّعر فى صحابته ، وكنتُ فيهم . فقَدِمْنا مكةَ فأَتَيْناه بأَجمَعِنـا ، فإذا هو فى فِتْيَـةٍ من قُريش كأَنّهم أَلْمَهَا، مع ظَرْف كثير ، فرحَّبوا بجرير وأَدْنَوْه وسُرُّوا بمكانه ، وأَعظمَ عُبَيْدُ بن سُريج موضعَ جرير ، وقال : سَلْ ما تُريد ، جُعِلْتُ فِداك ! قال : أَريد أن تُغَنِّيَنى لَحَناً سَمِعتُه بالمدينة أَزْعَجَنى إليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أُخْتَ نَاجِيَـةَ السَّلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحيل وقبْـلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فغنّاه ابنُ سُرَيج ، و بِيَدِه قَضِيبٌ يوَقِّع به و يَنْـكُت فى الأرض . فوَالله ما سمعتُ شيئاً أَحْسَنَ من ذلك . فقـال جَرِير : لله دَرُّكم ياأَهْلَ مكة ! ماذا أُعْطِيتم ! والله لو أنّ نازعاً نَزَعَ إليكم يُقيم بين أَظْهُرِكم يَسْمَع هـذا صَبَاحَ مَساء لكان أَعْظَمَ الناس حظًّا، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجُوهُـكُم الحِسانُ، ورِقَّةُ أَلْسِنَتِكُم ، وحُسْن شارَتكم ، وكَثرة فَوائدكم !

هو فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وقيـل : كَتَبَ الوَليد بن عبـد المَلِك إلى عامِل مكّة : أَنْ أَشْخِص إلىَّ ابن سُريج ، فأَشْخَصَه . فلمّا قدِم، مكَث أيّاماً لا يدعو به ولا يذكُره ، ثم إنه ذكَره وقال : ويْلَـكم ! أين ابن سُريج ؟ قالوا : هاهو حاضر . قال عَلَىَّ به . فأتَوْه فقالوا : أَجِبْ أمير المُؤمنين . فَتهيَّأَ ولَبِس ، وأقبل حتى دَخَلَ على الوَليد فسَلَّم، وأشار إليه : أن اُجْلِس. فجلَسَ بعيداً . فاسْتَدْناه ، فدنا حتى كان قريباً منه . فقال: ويْحَك يا عُبَيْد! لقد بَلَغنى عنك ما حَمَلَنى على الوِفادة بك، من كَثرة أَدَبك، وجَوْدَة اختيارك، مع ظَرْف لِسَانك، وحَلاوَة مجلسك . قال: جُعِلْتُ فداك يا أَمير المُؤمنين ! تَسْمَع بالمُعَيْدِىّ خَيْرٌ من أن تراه . قال الوليد : إنّى لأَرجو ألّا تكون

أنتَ ذاك ! هاتِ ما عِنْدك . فانْدَفَع ابن سُرَيْج يُغَنِّي بشعر الأَحْوص :

أمنزلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَمَا ... فقد هِجْتُما للشَّوْقِ قَلْباً مُتَيَّمَا
وذكَّرتُما عَهْدَ الشَّباب الذى مَضَى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد (١) تَجَذَّما

ومنها :

أُحِبُّ دُنُوَّ الدَّارِ منها وقد أَبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدّر إلّا تَثَلُّما
بَكاها ومايَدْرى سِوَى الظَّن مَنْ بكى ... أَحَيًّا يُبَكّى أم تُراباً وأعْظُما
فَدَعْها وأَخْلِفْ للخَلِيفة مِدْحَةً ... تُزِلْ عنك بُؤْسَى أو تُفيدك (٢) أنْعُما
فإنّ بكَفَّيْه مَفَاتيحَ رَحْمَةٍ ... وغَيْثَ حَيًا يَحْيَا به النّاسُ (٣) مُرْهِما
إمامٌ أتاه المُلْك عَفْوًا ولَمْ يُثِبْ ... على مُلْكِه مالاً حَرَاماً ولا دَما
تَخَيَّرَه ربُّ العِبَاد لِخَلْقِه ... وليًّا وكان اللهُ بالنّاس أَعْلَما
يَنَالُ العُلا والعِزَّ من نَالَ وُدَّه ... ويَرْهَبُ مَوْتاً عَاجِلاً من تَشأَّما

فقال الوَليدُ : أحْسَنْتَ والله وأَحْسَنَ الأَحْوَصُ ! عَلَيَّ بالأحوص . ثم قال : يا عُبَيْد ، هيه ! فغَنَّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاع العامِلِيّ يمْدحُ الوليد :

طَارَ الكَرَى وأَلَمَّ الهَمُّ (٤) فاكتَنفَا ... وَحِيلَ بينى وبين النَّوْم فامتَنعَا
كان الشَّبابُ قِنَاعًا أَسْتَكِنُّ به ... وأَستظِلُّ زماناً ثُمَّتَ انْقَشَعا
واسْتُبْدِلَ الرأسُ شَيْباً بعد داجِيَةٍ ... فَيْنَانَةٍ ما تَرَى فى صُدْغِها (٥) نَزَعا
فإن تَكُن مَيْعَةٌ (٦) من باطلٍ ذَهَبَتْ ... وأَعْقَبَ الله بعد الصَّبْوة الوَرَعا

(١) تجذم : انقطع .
(٢) رفع الفعل هنا على توهم رفع الأول أو على الاستئناف ، كأنه قال : أو هى تفيدك مغنما .
(٣) مرهما : أى دائماً . (٤) اكتنف : دنا وحضر .
(٥) فينانة : حسنة الشعر طويلته . والنزع : انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة .
(٦) الميعة : الحدة .

فقد أَبِيتُ أُراعى الخَوْد[١] رَاقِدَةً ... على الوَسَائد مَسْرُوراً بها وَلِعَا
بَرّاقةَ الثّغْر تَشْفى القلْب لَذّتُها ... إذا مُقَبِّلُها فى رِيقِها[٢] كَرَعَا
كالأُقْحوانِ بِضَاحِى الرَّوْض صَبَّحَه ... غيثٌ أَرَشّ بتَنْضاح[٣] وما نَقَعَا
صَلّى الذى الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له ... والمُؤْمِنُونَ إذا ما جَمَّعُوا الجُمَعَا
على الذى سَبَقَ الأَقْوامَ[٤] ضَاحِيَةً ... بالحَمْدِ والأَجْرِ حتى صاحِبَاه مَعَا
عُذْنا بِذى العَرْشِ أَنْ نَحْيَا وَنَفْقِدَه ... وَأَنْ نَكُونَ لِرَاعٍ بَعْدَهُ تَبَعَا
إنّ الوَلِيدَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَهُ ... مُلْكٌ أَعَانَ عَلَيْه اللهُ فارْتَفَعَا
لا يَمْنَعُ النَّاسُ ما أَعْطَى الَّذين هُمُ ... له عِبَادٌ ولا يُعْطُونَ ما مَنَعَا

فقال له الوَليد : صَدَقْتَ ! أَنَّى لَكَ هذا يا عُبَيْد ؟ قال : مِن عِنْد الله . قال الوَليد : لو غيرَ هذا قلتَ لَأَحْسَنْتُ أَدَبَكَ ! قال ابنُ سُرَيْج : ذلك فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشَاء . قال الوَليد : يَزيدُ فى الخلْقِ ما يَشَاء . قال ابنُ سُرَيج : هذا من فضلِ ربِّى لِيَبْلُوَنى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُر . قال الوَليد : عِلْمُك والله أَكْثَرُ وأَعْجَبُ إلىّ من غِنَائِك ! غَنِّنى . فَغَنَّاه بِشِعْرِ عَدِىّ بن الرِّقاع العامِلِىّ يمدَحُ الوَليد :

عَرَفَ الدِّيارَ تَوَهُّمًا فاعْتَادَها ... من بعدِ ماشَمِلَ البِلَى[٥] أَبْلادَها
ولَرُبَّ واضِحَةِ العَوارِض[٦] حُرَّة ... كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بها أَوْتادَها
صَلّى الإلهُ على الذى ودَّعْتُه ... وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عليه وزادَها

(١) الخود : الفتاة الحسنة الشابة لم تصر نصفا .
(٢) الكرع : التناول بالفم .
(٣) التنضاح . الماء القليل . وما نقع ، أى ما أروى .
(٤) ضاحية : على مسمع ومرأى .
(٥) اعتادها : أعاد إليها النظر مرة بعد أخرى لدروسها حتى عرفها . وأبلادها : آثارها ، جمع بلد ، وهو الأثر .
(٦) العوارض : الثنايا ، سميت بذلك لأنها فى عرض الفم .

و إذا الرَّبيعُ تَتَابَعَتْ (١) أَنْوَاؤُه فَسَقَى خُنَاصِرَةَ الأَحَصِّ فجادَها
نَزَلَ الوليدُ بها فكان لأَهْلِها غَيْثاً أَغَاثَ أَنيسَها و بِلادَها
أَوَلا ترى أَنَّ البَرِيَّةَ كُلَّها أَلْقَتْ خَزَائِمَها إليه فَقَادَها
ولقَدْ أرادَ اللهُ إذْ ولَّاكَها مِن أُمَّةٍ إصْلاحَها ورَشَادَها
أَعمَرْتَ أَرْضَ المُسْلِمين فأَقْبَلَتْ وكَفَفْتَ عنها مَنْ يَرُوم فَسَادَها
وأَصَبْتَ فى أَرْضِ العَدوِّ مُصِيبَةً عَمَّتْ أَقَاصِيَ غَوْرِها و نِجَادَها
ظَفَرًا ونَصْرًا ما تَنَاوَلَ مِثْلَه أَحَدٌ من الخُلَفَاءِ كانَ أَرَادَها
و إذا نَشَرتُ له الثَّنَاءَ وَجَدْتُه جمعَ المَكارمَ طِرْفَها (٢) وتِلادَها

فأَشَارَ الوَليدُ إلى بَعْضِ الخَدَم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ، ووَضَعُوا بين يَدَيْه كِيسَةَ الدَّنانير و بِدَرَ الدَّراهم . ثم قال الوَليد بنُ عَبْد الملك : يا مَوْلى بَنِي نَوْفَل بن الحَارِث ، لقد أُوتيت أَمْراً جَليلاً . قال ابن سُرَيج : وأَنْتَ يا أَمير المؤمنين ، قد أَتَاكَ اللهُ مُلْكاً عَظِيماً ، وشرفاً عالياً ، وعزًّا بَسَطَ يَدَكَ فيه ولم يَقْبِضه عنك ، ولا يَفْعَلُ إنْ شَاء الله . فأَدامَ اللهُ لكَ ما أَوْلاك ، وحَفِظَكَ فيما اسْتَرْعاك ، فأَنْتَ أَهْلٌ لمَا أَعْطَاك ، فلا نَزَعَه منك إذْ رَآك له مَوْضِعاً . قال : يا نَوْفَلِيّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ! قال ابنُ سُرَيج : عَنْكَ نَطَقْتُ ، و بلسانك تَكلَّمْتُ ، و بِعِزِّكَ بَيَّنْت . وقد كان أَمَرَ بإحْضار الأَحْوَص بن محمد الأَنْصَارِيّ ، وعَدِيّ بن الرِّقاع العَامِليّ ، فلما قَدِمَا عليه أَمر بإنْزَالهما حيثُ أُبن سُرَيج . فَأُنزلا مَنْزِلاً إلى جَنْب أُبن سُرَيج ، فَقَالا له : والله لَقُرْبُ أَمير المُؤمنين كان أَحَبَّ إلينا من قُرْبِكَ يا نَوْفَلِي ! فإن فى قُرْبِكَ لَمَا يَلُدُّنا (٣) و يَشْغُلنا عن كَثيرٍ مِمَّا نُريده . فقَال

(١) الأنواء : النجوم المائلة للمغيب . وكانت العرب تنسب لها المطر . وخناصرة : من أعمال حلب . والأحص : كورة كبيرة .
(٢) الطرف : المستحدث المستفاد ، وهو خلاف التلاد ، وهو القديم الأصيل.
(٣) يلدنا : يحبسنا ، هذلية .

ابنُ سُرَيج : أَوَ قِلَّةُ شُكْر ؟ فقال له عَدِىّ : كأَنك يا ابْنَ اللَّخْناء تَمُنّ علينا ! علىَّ وعلىَّ إنْ جَمَعَنا وإيّاكَ سَقْفُ بَيْتٍ أو صَحْنُ دارٍ إلاّ عند أمير المُؤْمنين . فأمّا الأَحْوص فقال : أَوَلاَ تَحْمِل لأبى يَحْيى الزَّلّةَ والهَفْوَة ! وكَفَّارَةُ يمين خَيْرٌ من عَدَم المحبَّة ، وإعْطَاءُ النَّفس سُؤْلَها خَيْرٌ مِن لَجاجٍ فى غَير مَنْفَعة . فتحوَّل عَدِىٌّ وبقِى الأحوص . وبلَغ الوليدَ ما جَرى بينهم . فَدَعا ابنَ سُرَيج ، فأَدخله بيْتاً وأرخى دونه سِتْراً ، ثم أمره إذا فَرغ الأَحْوَص وعَدِىّ من كلمَتِهما أن يُغَنِّى . فلمّا دَخلا وأَنشدَاه مَدَائح فيه ، رَفَع ابنُ سُرَيج صوتَه من حيثُ لا يَرَوْنه وضَرب بِعُوده . فقال عَدِىّ : يا أميرَ المؤمنين ، أَتأْذَنُ لِى أن أَتكلّم؟ فقال : قُلْ يا عامِلِىّ . قال أَمِثْلُ هذا عند أمير المؤمنين ويَبْعَثُ إلى ابْنِ سُرَيج يتَخَطَّى به رِقابَ قُريشٍ والعَربِ من تِهامَةَ إلى الشَّام ، تَخْفِضُه أرضٌ وتَرْفَعه أُخْرى ، فيُقال : مَنْ هذا ؟ فيُقال : عُبَيْد بنُ سُرَيج مَوْلى بَنِى نَوفل ، بَعث أميرُ المؤمنين إليه ليسمعَ غِناءَه . قال : وَيْحَك ! يا عَدِيّ ، أَوَلا تَعْرف هذا الصَّوْت ؟ قال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ، ما سمِعْتُه قَطُّ ولا سمِعْتُ مِثْلَه حُسْناً ، ولولا أنَّه فى مجلس أمير المؤمنين لَقلتُ : طائفةٌ من الجنِّ يُغَنُّون . فقال : اخْرُج . فخرج ، فإذا ابْن سُرَيج . فقال عدِىّ : حُقَّ لهذا أنْ يُحْمَل ! قالها ثلاثاً . ثم أمر لها بمثلِ ما أَمَر به لابْن سُرَيج ، وارْتحَل القومُ .

وكان الذى غَنَّاه ابنُ سُرَيج بشعْرِ عُمَرَ بن أبى رَبيعَة :

بِاللهِ يا ظَبْيَ بَنِى الحارِثِ ... هلْ مَنْ وَفَى بالعهْدِ كالنَّاكِثِ
حَتَّى مَتَى أَنت لنا هكَذا ... نَفْسى فِدَاءٌ لَكَ يا حارِثى
يا مُنْتَهى هَمِّى ويا مُنْيَتِى ... وَيا هَوَى النَّفْس وَيا وارِثى

فى موته

وقال ابن مُقيمة[1] : دَخلتُ على ابن سُرَيج فى مَرَضِه الذى ماتَ فيه، فقلتُ . كيف أصبحتَ أَبَا يَحْيى؟ قال : أَصبحتُ والله كما قال الشَّاعر :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن مقمة » .

كأنّى مِنْ تذكُّرِ ما ألاقِى إذا ما أظْلَمَ الليلُ البَهيمُ
سَقِيمٌ مَلَّ منه أقْرِبُوهُ وأسْلَمَهُ المُداوِى والحَمِيم

ثم مات .

وقيلَ : لمّا احتُضِر ابنُ سُرَيْج نَظر إلى ابْنَتِه تبكى ! فبكى وقال: إنَّ مِن أكبرِ هَمِّى أنتِ ، وأخْشَى أن تضيعى بَعْدى . فقالتْ : لا تَخَفْ ، فما غَنَّيْتَ غِناءً إلّا وأنا أُغَنِّيه . فقال : هاتى . فاندفعتْ تُغَنِّى أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها . فقال : قد أَصَبْتِ ما فى نفسى وهوَّنْتِ علىَّ أَمْرَكِ . ثم دعا سَعيد بن مَسعود الهُذَلىّ ، فزوَّجه إيّاها ، فأخذ عنها أكثرَ غِناءِ أبيها وانتحله .

قال إسحاق المَوْصِلىّ : فهو إلى الآن يُنسبُ إليه .

وذكر [هشام بن المُرِّيَّة] أنّ قادِماً قدِمَ المدِينَة فسَارَّ مَعْبداً بشىء . فقال مَعْبد : أصبحتُ أحسنَ النَّاس غناءً ! فقُلْنا : أوَلَمْ تكُن كذلك ؟ قال : ألاَ تَدْرُون ما أخْبَرنى به هذا ؟ قالوا : لا . قال : أعْلَمَنِى أنّ عُبَيد بن سُرَيج مات ، ولم أكُن أحسَنَ النّاس غِناءً وهو حَىّ .

وكان مَوتُه بالعلَّة التى أصابتْه من الجُذَام بمكّةَ فى خِلافَةِ سُلَيْمان بن عبد الملك، أو آخِر خلافة الوَليد .

قلتُ : وقد رَوَى أبو الفَرَج أنّه مات فى خلافَةِ هِشَام . ورَوَى أيضاً أنّه مات بعد قتل الوَليد بن يَزيد . وروى أنّه رَثَى حَبَابَة و يَزيدَ بن عبد الملك . وقَدْ تقَدَّم ذلك كُلُّه .

أخبار نُصَيب

نسبه وولاؤه

هو نُصَيْب بن رَبَاح ، مولى عبد العزيز بن مَرْوان . وكان لبعض العَرب من بنى كِنَانة، السُّكَّان بوَدَّان،[1] فاشتراه عبدُ العزيز منهم . وقيل: بل كانوا أَعْتَقُوه، فاشترى عبدُ العزيز ولاءَه منهم . وقيل : بل كاتَب مَواليه فأدَّى عنه مُكاتَبَته .

وقيل : كان نُصَيب من قُضاعة ثم من بَـلِىّ . وكانت أُمّه سَوْداء ، فوقع عليها فحَبِلَتْ بنُصَيب . فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه ، فباعه من عبد العزيز .

منزلته فى الشعر

وكان شاعراً فَحْلاً فَصيحاً ، مقـدَّماً فى النَّسيب والمَـديح ، ولم يكُن له حظٌّ فى الهجاء . وكان عفيفاً . وقيل إنه لم يَنْسُب قَط إلّا بامرأته .

نشأته فى الشعر وقدومه على عبد العزيز بن مروان

ذُكر عن نُصيب أنه قال : قلتُ الشِّعر وأنا شابٌّ، فأَعجبنى قولى، فجعلتُ آتى مَشْيَخَةً من ضَمْرَة بن بَكْر بن عبـد مَناة ، ومَشْيخة من خُزاعة ، فأُنْشـدُهم القصيدةَ من شعرى ثم أَنْسُبها إلى بعض شُعرائهم المـاضِين ، فيقولون : أحسنَ والله ! هكذا الـكلام ! وهكذا الشِّعر ! فلمـا سمعتُ ذلك منهم علمتُ أنّى مُحْسن ، وأجمعتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مَرْوان ، وهو يومئذ بمِصْر ، فقلتُ لأُخْتِى أُمامة ، وكانت عاقلةً جَلْدة : يا أُخَيّة ، إنّى قد قلتُ شـعراً ، وإنى أُريد به عبـدَ العزيز بن مَرْوان ، وأَرجو أن يُعْتِقكِ اللهُ به وأُمَّك ومَن كان مَرْقوقاً من أهل قَرابتى . قالت : إنّا للهِ وإنّا إليـه راجعون ! يابْن أُمّ ، أتَجْمع عليك الخَصْلتان : السَّواد ، وأن تـكون ضُحْـكَةً للناس . قال : قلتُ : فاسْمعى .

---

(١) ودان، هذه: هى التى بين مكة والمدينة ، وإياها يعنى نصيب .

فأنشدتُها ، فسمِعَتْ . فقالت : بأَبي أنتَ ! أحسنتَ والله ! وفى هـذا والله رجاء عظيم ، فاخرُج على بركة الله . فخرجتُ على قَعُودٍ[1] لى حتى قَدِمْتُ المدينةَ ، فوجدتُ بها الفرزدق فى مَسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فعرّجتُ عليه ، فقلتُ : أُنشده وأَستنشده وأَعرض عليه شِعْرى . فأَنشدتُه ، فقال لى : ويلك ! أهذا شعرُك الذى تطلُب به الملوك ؟ قلتُ له : نعم . قال : فلستَ فى شىء ، إن اُستطعتَ أن تكْتُم هذا على نفسك فافعل. قال : فانْفَضحتُ عَرَقاً[2] . فحَصَبنى[3] رجلٌ من قُريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سَمِع إنشادى وسَمع ما قال الفرزدقُ . فأومأ إلىّ فقمتُ إليه ، فقال : وَيْحك ! أهـذا شِعْرك الذى أنشدتَه الفرزدقَ ؟ قلتُ : نعم . قال : فلقـد والله أحسنتَ ! والله لئن كان الفرزدقُ شـاعراً إنّا لنَعرف محاسنَ الشِّعر ، وقد والله حَسدك ، فامْضِ لوجهك . قال: فسرَّنى قولُه، وعلمتُ أنه قد صَدَقنى فيما قال . فاعتزمتُ على المُضِىِّ . فمضيتُ فقَدِمْتُ مِصْر، وبها عبدُ العزيز ابن مَرْوان ، فحضرتُ بابَه مع النـاس . فنُحِّيتُ عن مَجْلس الوُجوه ، فـكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجـلاً على بَغْـلَة حسنَ الشَّارة سَهْلَ المَدْخـل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا اُنصرف إلى منزله ، اُنصرفتُ معـه أُماشِى دابّته . فلمّا رآنى قال : أَلك حاجة ؟ قلتُ : نَعم ، أنا رجل من أهل الحجاز شاعِر ، وقد مدحتُ الأمير وخرجتُ إليه راجياً لمعروفه ، وقد اُزْدُريت بالباب ونُحِّيتُ عن الوُجوه . قال : فأَنْشدنى. فأنشدتُه، فأَعجبه شِعْرى، وقال: ويحك! أهذا شِعْرك! إيّاك أن تَنْتحل! فإنّ الأمير راويةٌ عالِم بالشِّعر ، وعنـده رُواة ، فلا تَفْضحنى ونَفْسَك . فقلتُ :

(١) القعود من الإبل : ما أمكن أن يركب ، وأدناه أن تكون له سنتان .
(٢) انفضحت عرقاً ، أى تدفقت عرقاً .
(٣) حصبنى : رمانى بحصباء .

والله ما هو إلّا شِعْرى . فقال : وَيْحك ! فقُل أبياتاً تذكُر فيها حَوْفَ[1] مِصر وفَضْلَها على غَيْرها ، وأُلْقَنِي بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ ، فأنشدتُه قولى :

سَرَى الهَمُّ تَثْنِينى إليك طلائعُه ... بمصرَ و بالحَوْفِ اعترتْنى رَوَائِعُهْ
و بات وِسَادِى ساعدٌ قَلَّ لحمُه ... عن العَظم حتى كاد تَبْدو[2] أشاجِعُه

وذكرتُ فيها الغيثَ فقلتُ :

وكم دُون ذاكَ العارضِ البارقِ الذى ... له اشتَقْتُ من وَجْهٍ أُسيلَ مدامِعُه
تَمشّى به أفْناءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهْو خِصْبٌ[3] مَرابِعُهُ
فكُلُّ مَسِيلٍ من تِهامَةَ طَيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبَا تَسْقى البحارَ[4] دَوافِعُهُ
أَعِنِّى على بَرْقٍ أُرِيكَ وَمِيضَه ... تُضِيء دُجُنّاتِ الظّلام لوامِعُه
إذا اكتحَلَتْ عَيْنا مُحِبٍّ بضَوْئه ... تجافَتْ به حتّى الصَّباحِ مَضَاجِعُه
هَنِيئاً لأُمِّ البَخْتَرِىّ الرِّوى به ... و إن أَنْهَجَ الحَبْلُ الذى أنا قاطِعُه
وما زِلْتُ حتى قُلْتُ إنّى لخالِعٌ ... وَلائِىَ من مَوْلًى نَمَتْنِى[5] فَوَارِعُه
ومانِحُ قَوْمٍ أنتَ منهم مَوَدَّتى ... ومُتَّخِذٌ مولاكَ مولًى فتابِعُه

قال : أنت والله شاعر ! أُحْضُر البابَ فإنّى أذكرك للأمير . فجلستُ على الباب . فدخل ، فما ظننت أنه أمكنه أن يَذْكُرنى حتّى دُعى بى . فدخلت فسلّمت ، فصعَّد فىَّ بَصرَه وصَوَّبه ، ثم قال : أنت شاعرٌ ويلك ! قلت : نعم أيّها الأمير . قال : فأَنْشدنى . فأنشدتُه ، فأَعْجبه شِعْرى . وجاء الحاجبُ فقال : أيها الأمير ،

---

(١) بمصر حوفان : شرقى وغربى ، وهما متصلان . وأول الشرقى من جهة الشام ، وآخر الغربى قرب دمياط . يشتملان على قرى و بلدان كثيرة . (عن ياقوت) .

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٣) تمشى ، أى تتمشى ، فحذف إحدى تاءيه . وأفناء بكر : أخلاطهم .

(٤) الدميث : السهل الطيب . والدوافع : الدفعات من الماء فى إثر أخرى ؛ الواحدة : دافعة .

(٥) نمتنى : رفعتنى بالانتساب إليها . وفوارعه : أعاليه وأصوله التى تفرعه .

هذا أيمَن بن خُرَيم الأَسَدِيّ بالباب . قال: ائْذن له . فأذن له ، فدخَل فاطمأنّ . فقال له : يا أيمن بنَ خُرَيم، كم ترى ثمن هذا العَبد؟ فنظر إليّ فقال: والله لنِعْمَ الغادِى فى إثْر المَخاض[1] ! هـذا أيُّها الأَمير أرى ثمنه مائة دِينار . قال : فإنّ له لشِعْراً وفَصاحة . فقال لى أيمَنُ : أتقول الشّعر ؟ قلت : نَعم . قال: قيمتُه ثلاثون ديناراً . قال: يا أيْمَن ،أرْفعه وتَخْفِضه أنت؟ قال لـكَوْنِه أَحْمَق أيُّها الأَمير! ما لهذا والشِّعر ! أمِثْل هـذا يقُول الشِّعر ! أو يُحْسن شِعْراً ! فقال : أَنْشِدْه يانُصَيب . فأنشدتُه . فقال له عبدُ العزيز: كيف تَسمع يا أيمَن؟ قال : شِعْرُ أَسْوَدَ، هُو أَشْعَرأَهْل جِلْدته. قال : هو والله أَشْـعر منك . قال : أمنّى أيُّها الأمير ؟ قال: إى واللهِ منكَ . قال : والله أيُّها الأَمير ، إنّكَ لَمَلُولٌ طَرِفٌ[2] ! قال : كَذَبت والله ! ما أنا كذلك ، ولو كُنْتُ كذلك ما صَبَرْتُ عليك ، تُنَازِعُنى التَّحِيَّةَ وتُؤاكِلُنى الطَّعامَ وتَتَّكِىء على وسَائدى وفُرُشِى و بك ما بك ! يَعْنِي وضَحًا كان بأَيمَن . قال : ائْذَن لى أَخْرُج إلى بِشْرٍ[3] بالعِراق، واحْمِلْنى على البريد . قال: قد أَذِنتُ لك . وأَمَرَ به فَحُمِلَ على البريد إلى بِشْرٍ . فقال أَيْمَنُ بن خُرَيْم :

رَكِبْتُ من المُقَطَّم فى جُمَادَى ... إلى بِشْرِ بن مَرْوَانَ البَرِيدَا
وَلَوْ أَعْطَاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأَى حَقًّا عليـــه أَنْ يَزِيدا
أَمِـيرَ المُؤمِنِينَ أَقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الدِّينِ إنّ له عَمُودا
وَدَعْ بِشْرًا يُقَوِّمْهم و يُحْـدِثْ ... لِأَهْلِ الزَّيْغِ إسْـلاماً جَدِيدا
كأَنَّ التَّـاجَ تَاجَ بنى هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لِأَعْظَمِ الأيَّام عِيـــدا

---

(١) المخاض : الحوامل من النوق ؛ واحدتها : خلفة، على غير قياس ، ولا واحد لها من لفظها. يريد : لنعم هذا العبد راعياً للإبل .

(٢) الطرف من الرجال : الذى لا يثبت على عهد ويحب أن يستطرف آخر غير صاحبه، ويطرف غير ما فى يده ، أى يستحدث . والأنثى : طرفة .

(٣) هو بشر بن مروان ، ولى إمرة العراق . ومات بالبصرة سنة ٧٥ من الهجرة .

على دِيبَـاجِ خَدَّيْ وَجْه بِشْرٍ إذا الألْوَانُ خَالَفَتِ الخُـدُودَا

— قيل : إنه عَرَّضَ بقوله :

* إذا الأَلْوَان خَالَفَتْ الخدُودَا *

بِكَلَفٍ كان فى وجه عبد العزيز —

وأنّا قَدْ وَجَـدْنَا أُمَّ بِشْرٍ كأُمِّ الأُسْدِ مِذْكَاراً[1] ولُودَا

فأعطاه بِشْر مائةَ ألف دِرْهم .

هو والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك

وذُكِرَ أنّ نُصَيب دَخل على سُليمان بن عبـد الملك وعِنـده الفَرَزْدقُ . فاسْتنشد الفَرزدق ، وهو يَرَى أنّه سَيُنْشِده مَدِيحاً له فيـــه . فأنشده قولَه يفتخِر :

وَرَكْبٍ كأَنّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْـدَهم لِهَا تِرَةً من جَذْبِهـا[2] بالعَصَائِبِ

سَرَوْا يَرْكَبون الرِّيحَ وهى تَلُفُّهُمْ إلى شُعَبِ الأَكْوَارِ ذات[3] الحَقَائِبِ

إذا اسْتَوْضَحُوا نَاراً يقولونَ لَيْتَهـا وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نَارُ[4] غَالِبِ

قال : وعِمامتُه على رَأْسه كالمِنْسَف[5] . فغاظَ سُلَيْمانَ ، وكَلَحَ[6] فى وجهه . فقال لِنُصَيْب : قُمْ فأَنْشِدْ مولاكَ ، ويلكَ ! قال : فقامَ نُصَيْب ، فأنشده قولَه :

---

(١) المذكار : التى من عادتها أن تلد الذكران ، وكذلك الرجل مذكار . أما إذا ولدت ذكراً فهى مذكر . جعل أمه ولودا ، فأجرى المدح على غير وجهه ، فالإجماع على أن نتاج الكريمات يكون أعسر . قال الشاعر :

بغـــاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات نزور

(٢) العصائب : العمائم . أى تنقض عمائمهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها .

(٣) الأكوار : جمع كور ، بالضم ، وهو الرحل ؛ وقيل : الرحل بأداته . والحقائب : كل ما شد فى مؤخر الرحل ؛ الواحدة : حقيبة . ورواية البيت فى الديوان :

سروا يخبطون الليل وهى تلفهم على شعب الأكوار من كل جانب .

(٤) خصرت : اشتد عليها البرد .

(٥) المنسف : الغربال الكبير . (٦) كلح : كشر وعبس .

أَقُولُ لِرَكْبٍ صَادِرِينَ لَقِيتُهُم ... قِفَا ذاتِ أَوْشَالٍ ومَولاكَ [١] قارِبُ
قِفُوا خَبِّرُونِي عن سُلَيْمَانَ إنَّنِي ... لِمَعْرُوفِهِ من أَهْلِ وَدَّانَ [٢] طالِبُ
فَعَاجُوا فأَثْنَوْا بالَّذِي أنت أَهْلُهُ ... ولَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عليك [٣] الحَقَائِبُ
وقالُوا عَهِدْناه وكُلَّ عَشِيَّةٍ ... بأَبوابه من طالِبِ العُرْفِ [٤] رَاكِبُ
هو البَدْرُ والنَّاسُ الكَوَاكِبُ حَوْلَهُ ... ولا يُشْبِهُ البَدْرَ المُضِيءَ الكَوَاكِبُ

فقال له سُلَيْمان : أَحْسَنْتَ يا نُصَيب ! وأَمرَ له بجائزةٍ ، ولم يَصْنَع ذلك بالفَرَزْدَق . فقال الفرزدق حين خَرج من عنده :

وخَيْرُ الشِّعْرِ أَكْرَمُه رِجَالاً ... وشَرُّ الشِّعْرِ ما قالَ العَبِيدُ

هو وقد حمله عبدالعزيز بالمقطم

وقيل : حَمل عبدُالعزيز بن مَرْوَان نُصَيباً بالمُقَطَّم ، مُقَطَّم مصر ، على [٥] بُخْتِيٍّ قد رَحَله بِغَبِيطٍ [٦] فوقه وأَلْبَسَه مُقَطَّعات وَشْي ، ثم أَمَرَهُ أن يُنْشِدَه . فاجْتَمَع حَوْلَه السُّودان وفَرِحُوا به . فقال لهم : أَسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إِي واللهِ ! قال : واللهِ لما يَسُوءكم من أهل جِلْدَتِكم أكثر .

قدومه على هشام ابن عبد الملك

وذُكر أنّ نُصَيباً كان إذا قَدِمَ على هِشام بن عبد المَلِك أَخْلَى له مَجْلِسه واسْتَنْشَدَه مَراثِيَ بني أُمَيَّةَ . فإذا أَنْشَده بكى وبكى معه . فأَنْشده يوماً قَصِيدَةً له مَدَحه بها [يقولُ فيها] :

(١) قفا : وراء . وذات أوشال ، يريد موضعاً . وقارب : طالب للماء . ويريد بالمولى : نفسه . والخطاب لسليمان بن عبد الملك .

(٢) ودان : موضع بين مكة والمدينة ، وهو الذى أكثر نصيب من ذكره . وهناك موضعان آخران بهذا الاسم .

(٣) عاجوا : مالوا . والحقائب : جمع حقيبة ، وهى التى تكون على عجز البعير .

(٤) العرف : المعروف والجود ، وما تبذله وتسديه .

(٥) البختى : الجمل الخراسانى : ينتج من بين عربية وفالج — الفالج : البعير ذو السنامين ، وهو الذى بين البختى والعربى — دخيل فى العربية أعجمى . وقيل : البختى : عربى ، وهو الطويل العنق .

(٦) الغبيط : الرحل . ورحله به : شده عليه .

إذا استَبَقَ النَّاسُ العُلا سَبَقَتْهُمُ يَمِينُكَ عَفْوًا ثم صَلَّت شِمَالُها[1]

فقال له هِشام : يا أَسودُ ، قد بَلغتَ غايةَ المَدْح ، فَسلْنى . فقال له : يدُكَ بالعطيَّة أَجْوَدُ وأَبْسَطُ من لِسَانى بِمَسْألتك . فقال : هذا والله أحْسنُ من الشِّعْر ! وحَبَاه وأحْسنَ جائزَته .

إعتاقه أمه وامرأته وابن خالته سحيم

وقيل : أصابَ نُصيْبٌ من عبد العزيز بن مروان مَعْروفاً ، فكاتَبَه ورَجع [إلى المدينة] فى هَيْئة بَذَّة[2] . فقالوا: لم يُصِب بِمدْحِه شيئاً . فمكَث مُدَّةً ثم ساوَم بأُمِّه فابتاعَها وأَعْتَقَها ، ثمّ ابْتاعَ امرأَتَه بضِعْفِ ما ابتاعَ به أُمَّه فأَعْتَقها . وجاءه ابْنُ خالةٍ له يقال له : سُحَيم ، فسأله أن يُعْتِقَه ؛ فقال : ما مَعى واللهِ شىء ، ولكن إذا خَرجتُ أَخْرجتُك معى . ولَعلَّ الله أن يُعْتِقَكَ ، فلمّا أرادَ الخُروج دَفع غُلاماً له إلى مَوْلَى سُحَيْم يرْعَى إبِلَه ، وأخْرَجه معه . فسألَ فى ثمَنِه ، فأعْطاه وأعْتَقه . فمرَّ به [يوماً وهو] يزْفِن[3] ويَزْمُر مع السُّودان . فأنكر ذلك عليه ، فقال له : إن كنْتَ أعْتَقْتنى لأَكون كما تُريد فهذا ما لا يَكُونُ أبَدًا ! وإن كُنْتَ أعْتَقْتَنى لتَصِلَ رحمى وتَقْضِىَ حَقِّى فهذا الذى أفعله هو الذى أريده ، أَزْفِنُ وأَزمُر وأصنع ما شئتُ . فانصرف نُصيْب وهو يقول :

إنِّى أرانى لسُحَيْمٍ قائِلَا إنَّ سُحَيْماً لم يُثِبْنى طَائِلَا
نسيتَ إعْمَالى لكَ الرَّوَاحِلا وضَرْبِىَ الأَبْوَابَ فيكَ سائلا
عند الملوك أَسْتَثِيبُ النَّائِلا حتى إذا آنَسْتَ عِتْقاً عاجِلا
وَلَّيْتَنى مِنْكَ القَفَا والكَاهِلا أَخْلُقاً شَكْساً[4] ولَوْناً حَائِلا

(١) صلت شمالها ، أى تبعتها ، من صلى الفرس ، إذا جاء ثانياً فى الحلبة بعد السابق ، لأن رأسه يلى صلا — الصلا : وسط الظهر — المتقدم .

(٢) بذة : رثة . (٣) يزفن : يرقص . (٤) شكساً : سيئاً .

استعجاله جائزة عبد العزيز

وأبطأت جائزةُ نُصيْب عند عبد العزيز ، فقال له :

وإن وَرَاءَ ظَهْرِى يابْنَ لَيْلَى ... أُنَاساً يَنْظُرُون مَتَى أَؤُوبُ
أُمَامَـة منهُمُ ولِأُقَيْهَـا ... غَدَاةَ البَيْنِ فى أثَرِى[1] غُرُوب
تَرَكْتُ بِلادها ونَأَيْتُ عَنْهـا ... فأَشْبَهُ ما رَأَيْتُ بها[2] السَّلُوب
فَأَتبِعْ بعضَنا بعضاً فَلَسْنا ... نُثيبُكَ لَكِنِ اللهُ المُثيب

فعَجَّل جائزته وسَرَّحه .

ولَيْلَى هى أُمُّ عبد العزيز ، وهى كَلْبِيَّة .

وذُكِر أنّه قال : لا أُعطى شاعراً شيئاً حتى يَذْكُرها فى مَدْحِه ، لشَرَفِها . فكان الشُّعَراء يَذْكُرونها باسمها فى أشْعَارِهم .

هو وعبد الملك ابن مروان

وذُكر أنّه دَخَلَ نُصيْب على عبد الملك بن مروان فتَغَدَّى معه ، ثم قال له : هل لك فيما نَتَنادم عليه ؟ فقال تُؤَمِّنُنى ؟ فقال : قد فَعلتُ . فقال لَوْنى حائل ، وشَعْرى مُفَلفل ، وخِلْقَتى مُشَوَّهة ، ولم أَبْلُغ ما بَلَغْت من إكْرامِكَ إيَّاى بِشَرَفِ أَبٍ أو أُمّ أو عَشِير ، وإنما بَلَغْتُه بِعَقْلِى ولِسَانى ، فأَنْشُدُكَ اللهَ يا أمير المُؤمنين أن تَحُول بينى وبين ما بَلَغْتُ به هذه المنزلةَ منك ، فأَعْفاه .

عمر وابن مزيد فى سبب تسميته

وذَكر أبو بكر بن مِزْيد قال :

لَقيتُ النُّصَيْبَ يوْماً بباب هشام بن عبد الملك ، فقلت له : يا أبا مِحْجَن ، لِمَ سُمِّيتَ نُصَيْباً ؟ أَلقوْلِكَ فى شِعْرك : « عاينَها النُّصَيب » ؟ فقال : لا ! ولكنّى وُلدتُ عند أَهل بَيتٍ من وَدَّان ، فقال سيِّدى : إيتُونا بمَوْلودنا هذا لننظرَ إليه. فلمّا أُتِىَ بى ، قال : إنّه لَمُنصَبُّ الخَلْق[3] ، فسُمِّيتُ : النُّصَيب . ثم اشْترانى عبدُ العزيز بنُ مَرْوان فأَعْتقنى .

(١) مأق العين : حرفها الذى يلى الأنف . والغروب : الدموع حين تخرج من العين .
(٢) السلوب ، يريد : الظبية التى سلبت ولدها .
(٣) منصب الخلق : مسواه مستقيمه .

هو ورجل لقيه هو وأم بكر

وذكر بعضهم، قال :

رأيتُ رجلاً أسودَ ومعه امرأةٌ بيضاء ، فجعلتُ أعجبُ من سَوَاده و بياضها ، فدَنَوْتُ منه فقلتُ : مَن أنتَ ؟ فقال : أنا الذى أقول :

ألا ليتَ شِعْرِى ما الذى تُحدِثينَ بى ... غداً غُرْبةَ النَّأْى المُفرِّقِ والبُعْدِ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حين تَقْتَرِبُ النَّوَى ... بِنَا ثُم يَخْلُو الكاشِحُون بها بَعْدِى
أتَصْرِمُنى عند الأُلَى هم لنا العِدَا ... فَتُشْمِتَهم بى أم تَدُومُ على العَهْدِ

قال : فصَاحت : بل تَدوم واللهِ على العَهْدِ . فسَأَلْتُ عنهُما . فقيل : هذا نُصَيْبٌ . وهذه أُمُّ بكْرٍ .

جواب عبد الله ابن جعفر وقد سئل عن عطاياه له

وقيل : أتى نُصَيْبٌ عبدَ الله بنَ جعفر ، فحَمَله وأعْطاه وكَسَاه . فقال له قائل: يا أبا جَعْفَر ، أعْطَيْتَ هذ العبْدَ الأسود هذه العَطايا ! فقال : واللهِ إن كان أسود إنّ ثَنَاءَه لأَبْيَض ، وإن شِعْرَه لعربىّ . ولقد أُستحقّ بما قال أكثرَ مما نال . وما ذاك ؟ إنّما هى رَوَاحِلُ تُنْضَى [1] ، وثِيابٌ تَبْلَى ، ودَرَاهِمُ تَفْنى ، وثَناء يَبْقى ، ومَدَائح تُرْوَى .

منقذ الهلالى مع بعضهم فى شعر له

وذكر بعضهم قال :

أتانى مُنْقِذٌ الهِلالِىُّ ليلاً ، فضرب علىَّ البابَ ، فقُلتُ : من هذا ؟ فقال : مُنْقِذٌ الهِلالىّ . فخرجتُ إليه فزِعًا. فقال: البُشْرَى ! فقُلت : أَى بُشْرَى أَتَيْتنى بها فى هذا اللَّيل ؟ قال : خَيْرٌ ، أتانى أهْلى بدَجاجَةٍ مَشْوِيَّةٍ بين رَغيفَيْن ، فتَعشَّيتُ بها . ثم أَتَوْنى بقِنِّينَةٍ من نَبيذ قد اُلتقى طَرَفَاها رِقَّةً وصَفاء ، فجعلتُ أَشْربُ وأترَنَّم بقول نُصَيب :

بزَيْنبَ أَلْمِمْ قبلَ أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ ... وقُلْ إنْ تَمَلّينا فما ملَّكِ القَلْبُ

(١) تنضى . تهزل ، وأنضاه السفر : هزله .

ففكّرتُ فى إنسـان يَفْهم حُسْنَه و يَعْرِف فَضْلَه ، فلم أَجِدْ غَيْرك ، فأتيتُك مُخْبِراً بذلك . فقلتُ : ما جاء بك إلّا هذا ؟ فقال : أَوَلَا يَكْفِى ! ثم انْصَرَف .

هو ومسلمة فى عفة شعره

وقيل : قال مَسْلَمَة لِنُصَيب : أنت لا تُحْسِنُ الهجاء . قال : بلى والله ! أترُانى لا أُحسِن أنْ أجْعَل مكان « عافاك اللهُ » « أخْزَاكَ الله » ؟ قال : فإنّ فُلَانًا قد مَدحتَه فَحَرمك ، فاهْجُه . قال : لا والله ، ما يَنْبغى أن أَهْجُوَه ، إنما ينبغى أن أَهْجُوَ نفسى حيث مدحْتُه . قال مَسْلمة : هذا والله أَشَدُّ من الهجاء .

طلب إليه عمر بن عبد العزيز أن ينشده « قفا أخوى »

وقيل: دَخَل نُصَيب مسجِدَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعُمر بن عبدالعزيز يومئذ أمير المدينة ، وهو جالِسٌ بين قَبْرِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم ومِنْبره ، فقال : أيُّها الأمير ، أَتَأْذَنْ لى أُنْشِدك من مراثى عبد العزيز . فقال : لا تَفْعلْ فتَحزننى ، ولـكن أنْشِدْنى قولَك : « قفا أخوىّ » فإنَّ شَيطانك كان لك فيهـا ناصِحًا حين لقّنك إيَّاها . فأنشده :

قِفَا أَخَوَىَّ إنّ الدَّار لَيست ... كما كانت بِعَهْـدِكُما تكونُ
لَيالَىَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلَى ... قَطِينُ الدَّارِ فاحْتَمَل (١) القَطين
فَعُوجَا فانظُرَا أَتَبِـينُ عَمَّـا ... سألنـاها به أمْ لا تَبِـين
فَظَلَّا واقِفَيْنِ وظَلَّ دَمْعِى ... على خَـدِّى تَجُودُ به (٢) الشُّئُون
فلوْلَا إذْ رأيت اليَأْسَ منهـا ... بَدَا أن كِدْتَ تَرْشُقُكَ (٣) العُيُون
بَرِحْتَ فلم يَـلُمْكَ النـاسُ فيها ... ولم تَغْلَق كما غَلِقَ (٤) الرَّهين

هو وعجوز كان يختلف إليها مع ابنتها

وقيـل : كان نُصَيْب يَـنْزل على عَجُوز بالجُحْفَةِ إذا قَدِمَ من الشأم ، وكانت

(١) القطين : السكان ، للواحد والجمع .
(٢) الشئون : مجارى الدموع من العين ؛ الواحد : شأن .
(٣) ترشقك : تحد النظر إليك كأنها ترميك بسهام لحظها .
(٤) الرهين : جمع رهن ، وهو ما وضع عند الإنسان مما ينوب مناب ما أخذ منه . وغلق الرهن : إذا لم يوجد له تخلص وبقى فى يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

لها بُنَيَّـة صَفْراء ، وكان يَسْتحليها ، فإذا قَدِمَ وهَبَ لها دَراهِمَ وثياباً وغيرَ ذلك . فَقَدِم عليهما قَدْمَةً وبات بهما . فلم يَشْعُر إلا بِفَتًى قد جاءها ليلاً فرَكضها بِرِجْلِه ، فقامت معـه ، وأبطأتْ ثم عادتْ . وعاد إليها بعد ساعة فركضها برِجْله . فقامت معه وأبطأت . ثم عادت . فلمَّـا أصبحَ نُصَيْبٌ رأى أثَرَ مُعْتَرَكهما ومُفْتَسلهما . فلما أراد أن يَرْتَحِلَ قالت له العَجُوزُ و بِنْتُها : بأبى أنتَ ! عادتَك . فقال لها :

أَراكِ طَمُوحَ العَيْنِ مَيَّـالَةَ الهَوَى ... لهذا وهـذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ
فإنْ تَحْمِلِى رِدْفين لا أَكُ مِنْهما ... فَحُبِّىَ فَرْدٌ لستُ مِمَّن[1] يُرادِف

هو وامرأة من ملل ينزل عندها الناس

وقيـل : كانت بمَلَل[2] امرأة يَـنْزِلُ بهـا النّاسُ ، فنَزل بها أبُو عُبَيْدَة ابن عبد الله بن زَمْعة ، و عِمْرانُ بن عبد الله بن مُطِيع ، ونُصيْب . فلما رَحلوا ، وَهب لها القُرشيَّان ، ولم يكن مع نُصَيْب شىء ، فقال لها : اُختارى : إن شِئْتِ أضْمن لك مِثْل ما أعْطياك إذا قدمتُ ، و إن شِئتِ قُلتُ فيكِ أبياتاً تَنْفَعُكِ ؟ قالت : بل الشِّعْرُ أحَبُّ إلىَّ . فقال :

أَلاَ حَيِّ قَبْـلَ البَـيْنِ أُمَّ حَبيبِ ... و إنْ لم تَكُنْ مِنَّا غداً بِقَريبِ
لئن لم يَكُنْ حُبِّيك حُبًّا صَدَقْتُه ... فما أَحَدٌ عِنْـدى إذاً بِحَبيب
تَهامٍ[3] أصابتْ قَلْبَهُ[4] مَلَلِيَّةٌ ... غَريبُ الهَوَى يا وَيْحَ كُلِّ غَريب

فشَهرها بذلك ، وأصابتْ بقوله فيها خيراً .

سؤاله عمر بن عبد العزيز نفقة لبناته

قيل : ودخَلَ نُصيْب على عُمر بن عبد العزيز ، بعد ما وَلِىَ الخلافة ، فقال : إيهِ يا أَسْوَد ! أَنتَ الذى تُشَهِّرُ النِّسـاءَ بِنَسِيبِك ؟ فقال : إنّى قد تركتُ ذلك

(١) الردف : الذى يركب خلف الراكب . وأرادف : أكون ردفاً مع غيرى .
(٢) ملل : موضع فى طريق مكة بين الحرمين . وفى الأصل : « مالك » .
(٣) تهام : نسبة إلى تهامة ، وتقول أيضاً : تهامى ، بكسر التاء . إذا فتحت التاء لم تشدد الياء ، وإن كسرتها شددت الياء .
(٤) ومللية : نسبة إلى ملل ، موضع فى طريق مكة . وفى الأصل : « مالكية » .

يا أميرَ المُؤْمنين ، وعاهدتُ الله تعالَى ألَّا أقولَ نَسِيباً . وشَهِدَ له بذلك مَن حَضَر ، وأَثْنَوْا عليه خيراً . فقال : أمَّا إذ كان الأَمْرُ هَكَذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيَّاتٌ لى نَفَضْتُ عليهنَّ سَوادى فكَسَدْنَ ، أَرْغب بهنَّ عن السُّودان ، ويَرْغَبُ عنهنَّ البيضَانُ . قال : فَتُرِيدُ ماذا ؟ قال : تَفْرِضُ لهُن . ففعل . قال : ونَفَقَة طَرِيق . فأعطاه حِلْيَةَ سَيْفِه وكَساه ثوبَيْه ، وكانا يُساويان ثلاثين دِرْهماً .

من رقيق شعره

ومن رَقيق شِعْر نُصَيب قولُه :

تَمُرّ اللَّيالى ما مَرَرْنَ ولا أَرى ... مُرُورَ اللَّيالى مُنْسِياتِى ابنةَ النَّضْرِ
وقَفتُ بذى دَوْران أَنْشُد بَكْرَتِى ... ومالى فيها مِنْ قَلُوص[1] ولا بَكْر
وما أَنْشُدُ الرُّعْيَانَ إلّا تَعِلَّةً ... بواضِحَةِ الأَنْيَاب طَيِّبَةِ النَّشْر
أَمَّا والَّذى نادَى من الطُّورِ عَبْده ... وعَلَّمَ أيَّامَ المَناسِكِ والنَّحْر
لقد زادنى للجَفْرِ حُبًّا وأَهْلِه ... لَيالٍ أقامتهُنَّ لَيْلَى[2] على الجَفْر

شعره فى عبد العزيز بن مروان

وقيل : كان عبدُ العزيز بن مَرْوان اشْترى نُصَيْباً وأهلَه وولدَه فأَعْتقهم ، وكان نُصَيْب يَرْحل إليه فى كلِّ عام مُسْتميحاً ، فيُجيزه عبدُالعزيز ويُحْسِنُ صِلَته . فقال فيه نُصَيْب :

يقول فيُحْسِنُ القولَ ابْنُ لَيْلَى ... ويفْعَلُ فوق أحْسنِ ما يَقُولُ
فتًى لا يَرْزَأُ الإخْوانَ إلّا ... مودَّتهم[3] ويَرْزَؤُه الخَليل
فَبَشِّرْ أَهْلَ مِصرَ فقد أَتَاهُمْ ... مَعَ النِّيلِ الذى فى مِصرَ نِيل

هو وشاعر هجاه بالسواد

قيل : وكان نُصَيْب يُكْنى أبا الحَجْناء ، فهجاه شاعرٌ فقال :

رَأَيْتُ أبا الحَجْنَاء فى النَّاسِ حائِرًا ... ولونُ أبِى الحَجْنَاء لَوْنُ البَهائِم

(١) ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة . (ياقوت) . والقلوص : الفتية من الإبل .
(٢) فى الأصل : « ليال أقامت فيه » .
(٣) لا يرزأ ، أى لا يصيب منهم إلا الود .

تَراه على ما لَاحَه من سَوَادِه وإن كان مَظْلُوماً له وَجْهُ ظالِم

فقيل لنُصَيْب : أَلَا تُجيبه ؟ فقال : لا ! ولو كنتُ هاجياً أحداً لأَجَبْتُه . ولكنّ الله أَوْصَلَنِي بهذا الشِّعر إلى خير ، فجَعَلتُ على نَفسى ألّا أقولَه فى شَرّ ، وما وَصَفنى إلّا بالسَّواد ، وقد صَدَق . أفَلا أُنْشِدكم ما وصفتُ به نَفْسِى ؟ قالوا : بلى . فأَنْشَدهم قولَه :

ليس السَّوادُ بناقصِى ما دام لى هذا اللسانُ إلى فُؤادٍ ثابتِ
مَن كان ترفَعُه مَنَابتُ أَصْلِه فَبُيُوتُ أَشْعَارى جُعِلنَ مَنَابتى
كم بَيْن أَسْوَدَ ناطقٍ بِبَيَانِه ماضِى الجَنَانِ و بين أَبْيَضَ صَامِت
إنِّى لَيَحْسُدنى الرَّفيعُ بناؤُه فَضْلَ البَيان وليس بى مِن شامِت

بينه و بين رجل سبه بالرق

وقيل : قال رجل لنُصَيْب : أيّها العَبْد ! مالك وللشِّعر ! فقال : أمّا قولك « عَبْد » فما وُلدتُ إلّا وأنا حُرٌّ ، ولكنْ ظَلَمونى و باعُونى . وأمّا السوادُ ، فإنِّى أقُول :

فإنْ أَكُ حالِكاً لَوْنِى فإنِّى لِعَقْلٍ غيرِ ذى سَقَطٍ وِعَاء
وما نَزَلَتْ بِىَ الحاجاتُ إلّا وَقَى عِرْضى من الطَّمَع الحَيَاء

هو وجارية سألته أن يشيب بها

وقيل : وقف نُصَيْب على أبيات فاستَسقَى ماء ، فخرجتْ إليه جَارِيةٌ بِلَبَنٍ أو ماء فَسَقَتْه وقالت : شَبِّبْ بى . فقال : ما اسْمُك ؟ قالت : هِنْدُ ، ونظر إلى جَبَل وقال : ما اسم هذا العَلَم ؟ قالت : قَنَا . فأَنْشَأ يقول :

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هِنْدٍ ولم أَكُنْ أُبالِى أَقُرْباً زَادَهُ اللهُ أَمْ بُعْدَا
ألا إنّ بالقِيعَان مِنْ بَطْنِ ذى قَنَاً لنا حاجةً مَالَتْ إليه بنا عَمْدا
أَرُونِى قَناً أَنْظُر إليه فإنّنى أُحِبُّ قَناً إنِّى رأَيْتُ به هِنْدا

فشَاعَتْ هذه الأبيات ، وخُطِبتْ الجاريةُ من أَجْلِها ، وأصابتْ بقولِ نُصَيْب فيها خيراً كثيراً .

هووجاريةمطلقة أبت ثم تزوجته

وقيـل : دَخَل نُصَيْب على يزيدَ بنِ عبـد الملك ، فقال : حَدِّثنى يا نُصَيْب ببعض ما مَرّ عليك . قال : نعم، يا أمير المُؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حَمْراء ، فمكَثْتُ زماناً تُمَنِّينى بالأَباطيل ، فلما أَلْحَحْتُ عليها قالت : إليك عَنِّى ، فوالله لَكأَنَّك من طَوارِق اللَّيْل . فقلتُ لها : وأنتِ والله كأنّكِ من طوارقِ النّهار . فقالت : ما أَظرفكَ يا أَسودُ ! فغاظنى قَولُها . فقلتُ لها : أتَدْرين ما الظَّرْفُ ؟ إنما الظَّرْفُ العَقْـل . ثم قالت لى : أنْصرف حتى أَنْظُرَ فى أَمرِك . فأرسلتُ إليهـا بهذه الأبيات :

فإن أَكُ حالِـكاً فالمِسْكُ أَحْوَى ... وما لِسَوَاد جِـلدى مِن دَوَاء
ولى كَرَمٌ عن الفَحْشَاء[1] نَابٍ ... كَبُعْدِ الأَرْضِ من جَوِّ السَّماء
ومِثْلِى فى رجالِـكُمُ قَلِيـــلٌ ... ومِثْلُكِ ليس يُعْدَمُ فى النِّســاء
فإن تَرْضَىْ فَرُدِّى قول[2] واشٍ ... وإن تأْبَىْ فنحنُ على السَّواء

قال : فلما قَرأتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرهما . فَتَزوّجَتْنى .

شعر له كان يستجيده الأصمعى

وقال الرِّياشىّ :

أنشدنا الأصمعىّ لنُصيْب ، وكان يَستجيد هذه الأبياتَ ويقول إذا أَنْشدها : قاتل الله النُّصيب ! ما أشعره !

فإن يَكُ من لونِى السّوادُ فإنّه ... لَـكالْمِسْكِ لا يَرْوَى من المِسْك ذائقُهْ
وما ضَرَّ أَثْوَابى سَوادِى وتَحْتَهـا ... لباسٌ من العَلْياءِ بيضٌ[3] بَنَائِقُـه
إذا المرء لم يَبْـذُلْ من الوُدِّ مثـلَ ما ... بذلتُ له فاعْـلَمْ بأَنِّى مُفـــارِقُه

هووالأحوص وكثير فى حضرة امرأة من بنى أمية

وذُكر أن نُصَيباً خَرَجَ هو والأحوصُ وكُثيِّر غِبَّ يَوْمٍ أَمْطَرَتْ فيه السّماء .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ناء » مكان « ناب » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « راض » مكان « واش » .
(٣) البنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله .

فقال : هل لكم فى أن نركبَ جميعاً فنسيرَ حتى نأتيَ العَقيقَ فنُمتِّعَ فيه أبصارَنا ؟ فقالوا: نعم. فركِبُوا أفضَلَ ما يقدِرون عليه من الدَّوابّ . ولَبِسُوا أحسنَ ما يقدِرون عليه من الثِّياب ، وتَنَكَّروا ثم ساروا حتى أتَوْا العَقيق ، فجعلُوا يتصفَّحون (١) ويَرَوْنَ بعضَ ما يَشْتهون ، حتى رُفِع لهم سَوَادٌ عظيمٌ ، فأمَّوه حتى أتَوْه . فإذا وصائِفُ ورجالٌ من المَوالى ونِساء بارزاتٌ ، فسألْنَهم أن يَنْزلوا . فاسْتَحْيَوْا أن يُجيبوهنَّ من أوّل وهْلَةٍ ، فقالوا : لا نَسْتطيع حتّى نَمْضِيَ فى حاجة لنا . فخلَّفْنهم أن يَرْجِعوا إليهنّ . ففعَلُوا وأتَوْهُنّ ، فسألْنَهم النُّزُولَ . ودخلتْ امرأةٌ من النِّساء ، فاستأذنَتْ لهم ، فلم تَلْبَثْ أن جاءت فقالتْ : ادْخُلوا . قال : فدخَلْنا على امْرأةٍ بَرْزَةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّتْ ، وإذا كَراسِى مَوْضوعة ، فجلسنا جميعاً فى صَفٍّ واحد ، كل إنسان على كرسىّ . فقالت : إنْ أحبَبْتُم أن نَدْعُوَ بصَبِيٍّ لنا فنُصَيِّحه ونَعْرُكَ أُذنَيه (٢) ، فعلنا ؟ وإن شِئتم بدأنا بالغَداء ؟ فقلنا : بل تَدْعِينَ بالصبىّ ، ولن يَفُوتنا الغَداء . فأومأَتْ بيدها إلى بَعض الخَدم . فلم يكُن إلا كَلَا ولَا (٣) حتى جاءت جاريةٌ جميلةقد سُتِرت بمِطْرَف ، فأمْسكُوه عليها حتى ذهب بُهْرُها (٤) ، ثم كُشِف عنها ، فإذا جارية ذاتُ جمالٍ ، قريبةٌ من جمالِ مَوْلاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحَيَّتْهم . فقالت لها مولاتُها : خُذى ويحك من قَوْل النَّصيْب ! عافَى الله أبا مِحْجن :

أَلَا هَلْ مِن البَيْنِ المُفَرِّق من بُدِّ وهل مِثْلُ أيامٍ بمُنْقَطَع السَّعْدِ (٥)

---

(١) تصفح الشىء : نظر إليه ليتعرفه .

(٢) عرك الأذن : دلكها . تريد الغناء وضرب العود .

(٣) قال ابن منظور : والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل ، أو ظهور شىء خفى، قالوا : كان فعله كلا ؛ وربما كرروا فقالوا : كلا ولا .

(٤) أى حتى هدأت واطمأنت .

(٥) السعد : موضع قرب المدينة . ويريد بمنقطع السعد : حيث ينقطع وينتهى .

تَمَنَّيتُ أيَّامِى أُولئـك والمُنَى على عَهْد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِى[1]

فغنَّته الجارية، فجاءت به أحسَن ما سمعتُه قطُّ، بأَحْلى لفظٍ وأَشْجَى صَوْت.

ثم قالت: خُذى أيضاً من قَول أبى مِحْجَن، عافَى اللهُ أبا محجن:

أَرِقَ المُحِبُّ وعاده سهدُه لِطَوارِق الهَمِّ التى تَرِدُهْ
وذكرتُ من رَقّتْ له كَبِدِى وأَبَى فليس تَرِقُّ لى كَبِـدُهْ
لا قَوْمُه قَوْمِى ولا بَلَدى ـ فنكونَ حِيناً جيرةً ـ بَلَدُهْ
ووَجدْتُ وَجْدًا لم يكُنْ أحدٌ قَبْلِى من أجْل صَبَابَةٍ يَجِدُهْ

فجاءت به أحسنَ من الأوّل، وكِدْتُ أطِيرُ سُروراً. ثم قالت لها: وَيْحك! خُذى من قول أبى مِحْجن أيضاً، عافى الله أبا مِحْجن:

فيالَكَ من لَيْـلٍ تَمَتَّعْتُ طُولَه وهل طائِفٌ من نائم مُتَمَتِّعُ
نعم إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلْقَ شَجْوَه ولو نائماً مُسْتَعْتِبٌ[2] أو مُوَدِّعُ
وقد قُرِعَتْ فى أُمِّ عمرٍو لك العَصَا قَدِيماً كما كانت لذى الحِلْمِ[3] تُقْرَعُ

قال: فجاءت والله بشَىء حَيَّرنى وأَذْهَلنى طَرَباً، لُحسْنِ الغِنـاء، وسُرُوراً باختيارها الغنـاء فى شِعْرى، وما سَمِعْتُ فيـــه من حُسْنِ الصَّنْعَة وجَوْدَتها وإحْكامها. ثم قالت لهـا: خُذى ويحك أيضاً من قول أبى مِحْجن! عافى الله أبا مِحْجن:

يأيّها الرَّكْبُ إنِّى غَيْرُ تابِعِكُمْ حتَّى تُـلِمُّوا وأنتُمْ بى مُلِمُّونَا

قال نُصَيْب: فوالله لقد زَهَوْتُ بما سَمِعْتُ زَهْواً خَيَّلَ لى أنِّى من قُرَيش،

---

(١) ما تعيد ولا تبدى، أى لا نفع عندها.

(٢) مستعتب، أى طالب العتبى والرضى.

(٣) يشير إلى المثل المعروف: «إن العصا قرعت لذى الحلم». وأصله أن حكماً من حكام العرب عاش حتى أسن فأهتر، فقال لابنته: إذا أنكرت منى شيئاً عند الحكم فاقرعى لى العصا لأرتدع.

وأنّ الخِلَافَةَ لى . ثم قالت : حَسْبُكِ يا بُنَيَّة ! هَاتِ الطّعَامَ يا غُلامُ . فوثبَ الأحْوَصُ وكُثَيِّرٌ وقالا : واللهِ لا نَطْعَمُ لكِ طعاماً ولا نَجلِسُ لكِ مَجْلِسًا ، فقد أسأتِ عِشْرتنا ، واُسْتَخْفَفْتِ بنا وقَدَّمْتِ شِعْرَ هذا على أشعارِنا ، واُستمعتِ الغِناء فيه ؛ وإن فى أشعارنا لما يَفْضُلُ شِعْرَه ، وفيها من الغِناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان منّى ، فأى شِعْرِكُما أفْضَلُ من شِعْرِه ؟ أقَوْلُك يا أحْوص :

يَقَرُّ بِعَيْنِي ما يَقَرُّ بِعَيْنِها ... وأَحْسَنُ شَىءٍ ما به الْعَيْنُ قَرَّتِ

أم قولُك يا كُثيِّر فى عَزَّةَ :

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَسَتْ فنِكْها ... فإنّ عُطاسُها طَرَفُ السِّفَادِ

أم قولك فيها :

وما حَسَبَتْ ضَمْرِيَّةٌ[1] جُدَوِيَّةٌ ... سِوَى التَّيْسِ ذى القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلَا

قال : فخرجا مُغْضَبَيْنِ ، واُحتبستْنى وأَمَرَتْ لى بثَلثمائة دينار ، وحُلَّتَيْن وطِيب ، ثم دَفَعَتْ إلىّ مائتى دينار ، وقالت : أدْفعهما إلى صاحِبَيْك ، فإن قَبِلاها وإلّا فهى لك . فأتيتُهما فى مَنازلهما فأخبرتُهُما القِصَّة ، فأمّا الأحوصُ فَقَبِلها ، وأما كُثيِّر فلم يَقْبلها وقال : لَعَنَ اللهُ صاحِبَتَك وجائزتها ! ولَعنك معها . فأخذتُها وانصرفتُ .

قال الرَّاوى : فسألتُ النُّصَيْب : مَن المرأة ؟ فقال : امرأة من بنى أُمَيَّة ، ولا أَذْكُرُ اسْمَها ما حَيِيتُ لأحد .

وثاؤه عبد العزيز وقد مات بسكر

قيل : وَقَعَ الطَّاعُون بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه ، فَنَزَلَ بِقَرْيَة من الصَّعيد يقالُ لها : سُكَر — قُلتُ : « وأظنّها القرية

(١) جدوية : نسبة إلى جدى بن ضمرة بن بكر ، من كنانة .

المعروفة اليوم بالسُّكر ، بينها و بين الفُسطاط مرحلة » — . قال : فقَدِمَ عليه حين نزلها رَسُولُ لعَبْد الملك بن مَرْوان ، فقال له عبد العزيز : ما اسْمُك ؟ قال : طالب ابن مُدْرِك . فقال : أَوَّهْ ! ما أَرانى راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ما حييتُ . ومات فى تلك القرية . فقال نُصيب يَرْثيه :

أُصِبْتُ يومَ الصَّعِيد من سُكَر ... مُصِيبةً ليس لى بها قِبَلُ
تالله أَنْسى مُصِيبَتِى أَبَدًا ... ما أَسْمَعَتْنِى حَنِينَها الإبِلُ
ولا التَّبَكِّى عَلَيْهِ[1] أُعْوِلُه ... كلّ المُصِيبَاتِ بَعْدَه جَلَلُ
لم يَعْلَمِ النَّعْشُ ما عليه من الْـ ... ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلوا
حتى أَجَنُّوهُ فى ضَرِيحِهِمُ ... حين أُنتهى من خليلك[2] الأَجَلُ

لابن واصل فى ولاية مروان بالعهد

— قلت : كان مروان بن الحكم قد جَعل ولاية عهده لابنه عبد الملك ، و بعده لعبد العزيز ، وولّى عبد العزيز مصر . فلما مات مروان وأفضت الخلافةُ إلى عبد الملك أقرَّ أخاه عبد العزيز على مصر وولاية عهده . ونشأ لعبد الملك أبناه : الوليد وسُليمان ، فأحبّ مَوْت أخيه عبد العزيز لِيَنْقُل ولاية العهدِ إلى أبنيه . واسْتطالَ أيّامَ عبد العزيز ، فاتفق موتُه بمصر سنة ست وثمانين . ومات بعده عبد الملك فى هذه السنة ، بعد أن عَهِدَ إلى أبنيه —

هو وعبد الملك وقد وطلب إليه رثاءه فى أخيه

وَذُكِرَ أنه دَخَلَ نُصَيْب على عبد الملك فقال له : أَنْشِدنى بعضَ ما رَثَيْتَ به أخِى . فأنشده أبياتاً منها :

عَرَفْتُ وَجَرَّبْتُ الأُمُورَ فما أَرَى ... كماضٍ تَلَاه الغَابِرُ[3] المتَأَخِّرُ
ولكنّ أَهْلَ الفَضْلِ من أَهْلِ نِعْمَتِى ... يَمُرُّون أَسْلافاً أَمامى وأَغْبُرُ

(١) أعول : أى أرفع صوتى بالبكاء .
(٢) الرواية فى ياقوت : « خليله » .
(٣) الغابر : الباقى . وغبر ، كما يستعمل بمعنى مضى ، يستعمل بمعنى بقى .

فإن أَبْكِه[1] أُعْذَرُوا إن أغْلِبِ الأَسَى بِصَبْرٍ فَمِثْلِى عِنْدَ ما أُشْتَدّ يَصْبِرُ
فإن كُنّ قَدْ نِلْنَ ابْنَ لَيْلَى فإنّه هو المُصْطَفَى من أَهْلِهِ المُتَخَيَّرُ

فلما سَمع عبد الملك قوله « فإن أبكه أُعذر » قال : ويلك ! أنا كنتُ أَحَقَّ بهذه الصِّفة منك فى أخى ، فهلّا وصفتَنى بها : وجعل يَبكى .

له فى عطاء الحكم ابن المطلب له

وذُكر أنه قيل لِنُصَيْب : هَرِمَ شِعْرُك . فقال : لا والله ، ما هَرِم ولكن العَطاء هَرِم ، مَنْ يُعطِينى مِثْلَ ما أعطانى الحَكَم بن المُطَّلب ؟ خَرَجْتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدقاتِ المَدينة ، فلمّا رأيتُه قلتُ :

أبا مَرْوَانَ لستَ[2] بخارجيٍّ وليس قَدِيمُ مَجْدِك بانْتِحَالِ
أَغَرُّ إذا الرِّوَاقُ أُنْجَابَ عنه بَدَا مِثْلَ الهِلالِ على[3] المِثَالِ
تراآه العُيُونُ كما تَرَاءى عَشِيَّةَ فِطْرِهَا وَضَحَ الهِلال

قال : فأعْطَانِى أربعمائة ضَائِنةٍ ومائةَ لِقْحَة[4] ، وقال : أُرْفَعْ فِراشى . فَرَفَعْتُه فأخذتُ من تحته مائتى دينار .

يزيد يملأ فمه جوهرا

وذُكر أنه دخلَ نُصَيْب على يزيدَ بنِ عبد الملك ذاتَ يوم ، فأَنشده قَصِيدةً أمتدحَه بها . فطَرِب لها يزيدُ واستحسَنَها ، فقال له : أَحْسَنْتَ يا نُصَيْب ، سَلْنِى ما شِئْتَ . فقال : يَدُك يا أميرَ المُؤمنين بالعطاء أَبْسَطُ من لسانى بالمَسألة . فأَمر به يزيدُ فمُلِىء فُوه جَوْهراً . فلم يَزَل به غنيًّا حتى مات .

جائزة ابراهيم بن هشام له

وقيل : دخلَ نُصَيْب على إبراهيم بن هشام ، وهو والٍ على المدينة ، فأَنشده :

يابن الهِشَامَيْن[5] لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أَحْسَابِها مُضَرُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أبكهم » .
(٢) الخارجى : الذى يخرج بشرف نفسه من غير أن يكون له قديم .
(٣) رواق البيت : سترة مقدمه ، ضد الكفاء ، وهو سترة مؤخره . وانجاب : انكشف . والمثال : الفراش .
(٤) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .
(٥) الهشامان ، هما : هشام بن عبد الملك ، أبوه ؛ وهشام بن اسماعيل المخزومى ، جد أبيه لأمه .

فقال إبراهيم : قُمْ يا أبا مِحْجن إلى تلك الرَّاحلةِ المَرْحولة فخُذْها برحلها . فقام إليها نُصَيْب مُتَباطِئاً ، والناسُ يقولون : ما رأينا عَطِيةَ أَهْنأَ من هذه ، ولا أَكْرَمَ ولا أَعْجَلَ ولا أَجْزَل ! فسمعهم نُصيْب فأقبل عليهم وقال : والله قَلَّما صاحبتُم الكِرَام ! وما راحِلةٌ وَرَحْلٌ حتى تَرْفعوها فوق قَدْرها !

قدومه على هشام بعد مرض حين ولى الخلافة

وقيل: اُستبطأ هِشامُ بنُ عبدالملك ،حين وَلِى الخلافةَ، نُصَيْباً أَلَّا يكون جاءه وافداً عليه مادِحاً له ، ووَجَد عليه . وكان نُصيْب مريضاً ، فبلَغه ذلك حين بَرأ ، فقَدِم على هِشام وعليه أثرُ المَرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب ، فأنشده :

حَلَفْتُ بمَنْ حَجَّتْ قُرَيْشٌ لبَيْتِهِ ... وأَهْدَتْ له بُدْناً[1] عليها القَلائِدُ
لئن كُنتُ طالتْ غَيْبَتى عنك إنّنى ... بمَبْلَغ حَوْلى فى رِضاك لَجَاهِد
ولكنَّنى قد طال سُقْمِى وأكثرتْ ... علىَّ العِهادَ[2] المُشْفِقاتُ العَوائد
صَرِيعُ فِرَاشٍ ما يَزَلْنَ يَقُلْنَ لى ... بنُصْحٍ وإشْفاق متى أَنْتَ قاعِد
فلمّا زجرتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتى ... إليك وذَلَّت لِلِّسانِ القصائد
وإنِّى فلا تَسْتَبْطِنِى[3] بمَوَدَّتى ... ونُصْحِى وإشفاق إليك لَعَامِد
ولا تُقْصِنى حتى أكونَ[4] بِصَرْعَةٍ ... فَيَيْأَسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسِد
أَنِلْنِى وقَرِّبْنى فإنِّىَ بالِغٌ ... رِضَاكَ بعَفْوٍ من نَداك وزائد
أَبِتْ نَاعِماً أمّا فُؤادِى فهَمُّه ... قَلِيلٌ وأمّا مَسُّ جِلْدِى فبارِد
وقَدْ كان لِى منكم إذا ما لقيتُكم ... لَيَانٌ[5] ومَعْروفٌ وللخير قَائِد
إليكَ رَحَلْتُ العِيسَ حتَّى كأنَّها ... قِسِىُّ السُّرَى ذُبْلاً بَرَتْها[6] الطَّرائد

(١) البدن : جمع بدنة ، وهى ناقة تنحر بمكة .
(٢) العهاد : المطر بعد المطر ، الواحدة : عهد وعهدة ، بفتح العين وكسرها . يريد الدموع .
(٣) لا تستبطنى : أى لا تستبطئنى . (٤) أى حتى يحل بى الموت .
(٥) اللِّيان : نعمة العيش . (٦) ذبلا : جمع ذابل . والطرائد : جمع طريدة ، قصبة فيها حزة تنحت عليها القداح وتبرى . وما أشبهها بمبراة أقلام الرصاص الآن . والرواية فى الأصل : « قس ذبولاقد » .

وحتَّى هَوادِيهـا دِقَاقٌ وشَكْوُها صَرِيفٌ و باقِي النِّقْى منها [١] شَرائد
وحتَّى دنَتْ ذاتُ المِراحِ فَأَذْعَنَتْ إليك وكَلَّ الرَّاسماتُ [٢] الحَوافِد

قال : فَرقَّ له هشامٌ و بَكَى ، وقال : ويحك يا نُصَيْب ! لَقَدْ أَضْرَرْنا بك و بِرَواحلك . ووَصَله وأَحْسن صِلَته واحْتَفى به .

سؤال عبد العزيز له عن عشقه

وقيل : دخل نُصَيْب على عبد العزيز بن مَرْوان ، فقال له عبدُ العزيز ، وقد طال الحَديثُ بينهما : هل عَشِقْتَ قَطُّ ؟ قال : نعم ، أَمَةٌ لبنى مُدْلِج . قال : فكنتَ تَصْنَعُ ماذا؟ قال : كانوا يَحْرُسونها منِّى فكنتُ أَقْنَعُ بأن أَراها فى الطَّريق، فأُشيرُ إليها بعَيْنى أو بحاجبى . وفيها أقول :

وقفتُ لهـا كَيْما تَمُرَّ لعَلَّنِي أُخَالِسُهـا التَّسْليمَ إنْ لم تُسَلِّمِ
فلمَّا رأَتْنى والوُشاةَ تَحَدَّرَتْ مدامعُهـا خَوْفًا ولم تَتَكَلَّمِ
مَساكِينُ أَهلِ العِشْقِ ما كنتُ أَشْترى جَمِيعَ حيـاةِ العَاشقين بِدِرْهَمِ

فقال له عبدُ العزيز : ما فَعلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأَولدها سيِّدُها . قال : فهل فى نَفسك منها شىء ؟ قال : نَعم ، عَقابِيل [٣] أحزان .

هووالنسوة الثلاث اللاتى كن يتناشدن فى المسجد الحرام

وذُكر أنه أَتى نُصيب مكَّةَ ، فقَصد المسجدَ الحَرَام ليـلاً ، فبينما هو كذلك إذ طَلَعتْ ثلاثُ نِسْوةٍ فجلسْنَ قريباً منه ، وجعلن يَتحدَّثن ويتذاكَرْن الشِّعر والشُّعراء ، فإذا هُنَّ من أفصح النِّساء وآدبِهنّ . قَالتْ إحداهُنّ : قاتَلَ الله جَمِيلاً حيث يقول :

---

(١) الهوادى : الأعناق : وشكواها : شكوها . والصريف : صريف الأنياب : والنقى : مخ العظم : والشرائد : البقايا .

(٢) الراسمات : ذوات الرسم ، وهو ضرب من السير . والحوافد : المسرعات .

(٣) العقابيل : البقايا .

وبَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَتَيْنِ ذكرتُكم بمُختلفٍ ما بَيْنَ ساعٍ[1] ومُوجِفِ
وعِنْدَ طَوَافى قد ذَكَرْتُكِ ذِكْرَةً هى الموتُ بل كادت على الموتِ تَضْعُف

فقالت الأخرى : بل قاتل الله كُثيِّر عَزّة حيث يقول :

طَلَعْنَ علينا بين مَرْوَةَ والصَّفَا يَمُرْنَ[2] على البَطْحَاءِ مَوْرَ السَّحائِبِ
وكِدْنَ لعَمْرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فِتْنَةً لِمُخْتَشِعٍ من خَشْيَةِ اللهِ تَائِبِ

فقالت الأخرى : بل قاتَلَ الله نُصَيْباً ابْنَ الزَّانية ، حيث يقول :

أَلاَمُ على لَيْلَى ولَوْ أَسْتَطيعُها وحُرْمَةِ ما بين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ
لَمِلْتُ إلى لَيْلَى بنفسىَ مَيْلَةً ولو كان فى يَوْمِ التَّحَالُقِ والنَّحْرِ

فقام نُصيب إليهن فسلَّم عليهن . فرَدَدْن عليه السَّلام . فقال لهُنّ : إنى رأيتُكُنَّ تَتَجَارَيْنَ[3] شَيْئاً عندى منه عِلْمٌ . فقُلْن : ومَن أنتَ ؟ قال : أَسْمَعْنَ أوّلاً . قُلْنَ : هاتِ . فأَنْشَدَهُنّ قصيدته التى أولُها :

ويومَ ذى سَلَمٍ شاقَتْكَ نائِحَةٌ وَرْقَاءُ فى فَنَنٍ والرِّيحُ تضْطَرِبُ

فقُلْنَ له : نَسْأَلُك باللهِ وبِحَقِّ هذا البَيْتِ ، مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابْنُ المظلومةِ المَقْذوفة بغَيْرِ جُرْم ، نُصَيب . فقُمْنَ إليه وسَلَّمْنَ عليه ورَحَّبْنَ به . واعْتَذَرَت القائِلَةُ إليه ، وقالتْ : واللهِ ما أردتُ سُوءًا ، وإنما حَمَلَنى الاستحسانُ لقَولك على ما سمعتَ . فَضَحِك ، وجَلس إليهنّ ، فحادَثَهُنّ إلى أن انْصَرَفْنَ .

---

(١) الصفا : مكان مرتفع من جبل أبى قبيس ، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود . والمروتان ، هو المروة : جبل مكة يعطف على الصفا . وقد ثناه الشعراء ، وهو واحد . وموجف : ، مسرع . يقال : وجف وأوجف ، إذا أسرع . وأوجف دابته : إذا حثها .

(٢) يمرن : يتمايلن جائيات ذاهبات .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « تتحادثن » . .

شعره الذى فيه الغناء

وشعر نُصيب الذى فيه الغناء :

أَهَاجَ هَواكَ المَنْزِلُ المُتقادِمُ نَعَمْ وبه مِمّن [1] شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أَوْتادٍ وأَشْعَثُ [2] دَاثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ فى المَحَلِّ جَوائِمُ

(١) فى الأصل : « مما » .

(٢) الأشعث : الوتد . وداثر : قديم. والسفع : الأثافى قداسودت من النار. والجوائم : الراسية.